عاشوراء البحرين

ويكيليكس السفـــارة الأمريكـــية

مرآة البحرين
Bahrain Mirror

إلى الشيخ عيسى قاسم

مازال خطابك المتن
ورسائلهم هامشًا

«نحـو 70 بالمائـة مـن سـكان البحريـن مسـلمون شـيعة، والبحريـن هـي الدّولـة الوحيـدة مـن بـين دول مجلـس التّعـاون الخليجـي التـي تسـمح بإقامـة احتفـالات علنيـة واسـعة النّطـاق بعاشـوراء»

ويكيليكس، برقية رقم 05MANAMA347

«رجـل الديـن الشـيعي الأبـرز في البحريـن، الشـيخ عيـسى قاسـم أقسـم في خطـاب ألقـاه في 29 يناير/كانـون الثـاني، بهـذه المناسـبة، إنـه لـن يقبـل أبـدا باضطهـاد أي سـنّي وإنّـه سـيقاتل إلى جانـب السـنّة لاسـتراجع حقوقهـم المسروقـة في أي مـكان بالعالم»

ويكيليكس، برقية رقم 07MANAMA93

«أشـار الخواجـة إلى معركـة الإمـام الحسـين ضـد الخليفـة الأمـوي يزيـد في نـداء مسـتتر بالـكاد موجـه إلى شـيعة البحريـن للوقـوف في وجـه الحكومـة السـنية. وأنهـى خطابـه بتهديـد: لقـد فقـدوا أي فرصـة بالسـلام»

ويكيليكس، برقية رقم 09MANAMA22

الفهرس

	تقديم	7
01	صراع الصور والأعلام في 2005	9
02	اللطم والإيقاع و«الحيدر» في مواكب العزاء بالمنامة	23
03	سلفيون سنّة نظّموا برامج مستفزّة في عاشوراء!	31
04	الرغبة في التعبير عن الهويّة الشيعية إلى الحد الأقصى!	43
05	خطبة الخواجة في عاشوراء 2009	53
06	قصّة المبعوث الإيراني إلى المنامة وخطاب الشيخ قاسم	65
07	السفارة الأمريكية عن خطاب مشيمع	75
08	لماذا تراقب السفارة الأمريكية عاشوراء البحرين؟	83

تقديم

لعبت عاشوراء أدوارا سياسية مؤثرة في كل المحطات التاريخية للبحرين، ومنذ أواسط التسعينات «كان من المستغرب أن لا يُعتَقَل ناشط سياسي واحد على الأقل على خلفية خطاب حماسي مناهض للحكومة في ذروة عاشوراء وشهر مُحَرّم بأكمله» كما يلخص الباحث الأكاديمي جستن غينغلر.

ستثير عاشوراء البحرين جدلا في كل عام، وستكون دائما محل ترقّب، ليس فقط من أجهزة الدولة، بل من السفارة الأمريكية أيضا.

وبحسب برقيات ويكيليكس، فمنذ العام 2005 عملت السفارة الأمريكية في المنامة على جمع المعلومات عن عاشوراء سنويا للدراسة والتحليل من أجل تقديم صورة كاملة للإدارة الأمريكية، في شكل تقرير سري!

تعود هذه البرقيّات التي سرّبتها ويكيليكس قبل أعوام، إلى الفترة بين 2005 و2010. كانت السفارة تراقب عاشوراء في البحرين بشكل دقيق، وتبعث بتقارير مفصّلة عمّا يجري، بشكل روتيني. كم عدد من شارك؟ ماذا قال الشيخ عيسى قاسم، ماذا قال الشيخ علي سلمان، وكيف كان خطاب عاشوراء؟ كيف كانت الأوضاع الأمنية؟ هل كانت هناك انتهاكات، هل كان هناك تسييس، هل ورد اسم الولايات المتحدة الأمريكية في أي شيء؟ ماذا يزعج هؤلاء الناس، ماذا يغيظهم، وكيف يمكن أن يؤثّر إحياء عاشوراء هذا العام عليهم؟

هو وجه من عملية جمع المعلومات، التي يمكن حتى أن تغفل عن رصدها الحكومة، وتتراخى في توثيقها المنظّمات المدنية.

لن تصل هذه البرقيات إلى الخارجية الأمريكية فقط، بل ستكون برسم القيادة الأمريكية المركزية في الخليج، وسترسل بالطبع إلى وكالات الاستخبارات، والمحللين، والباحثين.

ستضع السفارة في برقياتها كل تفاصيل عاشوراء الدقيقة، في سياقها الديني والاجتماعي والسياسي. طريقة القراءة البعيدة عن الانفعال لعاشوراء البحرين (حتى لو كان العلم الأمريكي فيها مرسوما على الأرض لتدوس عليه الأقدام)، تجعل من تقارير السفارة الأمريكية وثائق مهمّة للتاريخ.

في العام 2008 زار السفير الأمريكي السابق آدم إيرلي بنفسه احتفالات ذكرى عاشوراء في المنامة عام 2008، يصحبه مسئولون في السفارة، ضمن ما قالت برقية إنها كانت «مهمة عمل» الهدف منها تعزيز التواصل مع المجتمع الشيعي في البحرين!

هناك فريق ترسله السفارة سنويا من موظفيها لمراقبة هذه الفعاليات ورصدها بدقة. وفضلا عن ذلك، تجري السفارة اتصالات بمعارفها من الشيعة للوقوف على معلومات أخرى.

عاشوراء بالنسبة للسياسة الأمريكية يذكّر بإلهامه العديد من الثورات وحركات المقاومة الشيعية في المنطقة، بدءا من إيران، وليس انتهاء بلبنان. منذ ذلك الوقت، والسياسة الأمريكية تسأل نفسها دائما، إلى أين يمكن أن ينتهي هذا الحماس الشيعي في عاشوراء في البحرين؟

تثبت هذه البرقيات أن عاشوراء، بالنسبة للسياسة الأمريكية، ترتبط بأمن الخليج، واستقرار أنظمة الحكم فيه، والأسطول الخامس، والجار الإيراني، والصورة الأمريكية في الذهن الشيعي.

بالتزامن مع إحياء ذكرى عاشوراء لعام 2015، بدأت «مرآة البحرين» استعراض هذه الوثائق الخطيرة، وهي تصدرها اليوم مجموعة في كتاب لأول مرّة، وذلك لأغراض البحث والتقصّي، ولفهم وتحليل العمل الدبلوماسي الأمريكي في هذا السياق، ورؤيتهم لهذه المناسبة ومجرياتها المختلفة كل عام، وتعاطي الحكومة البحرينية مع كل ذلك.

01

«ويكيليكس» السفارة الأمريكية وعاشوراء البحرين:
صراع الصور والأعلام في 2005

في هـذا الوقـت، لا بـد أن تكـون السـفارة الأمريكيـة منشـغلة بكتابـة تقريرهـا السـنوي عـن إحيـاء ذكـرى عاشـوراء في البحريـن!

تواصـل ويكيليكـس كشـف معلومـات ربمـا أراد كل أطرافهـا أن تدفـن بعيـدا، وأن لا تظهـر في التاريـخ أبـدا، مهـما كانـت الظـروف. اتصـالات وتصريحـات ونقاشـات وسـباب وشـتائم وزيـارات ووعـود، دون علـم أحـد، إلا اللـه، والسـفارة الأمريكيـة!

تبـيّن برقيـات سرّبهـا موقـع ويكيليكـس، أن السـفارة الأمريكيـة في المنامـة، ترسـل تقريـرا سرّيـا بشـكل سـنوي لـوزارة الخارجيـة الأمريكيـة، عـن مجريـات إحيـاء ذكـرى عاشـوراء في البحريـن!

تعـود هـذه البرقيّـات التـي سرّبتهـا ويكيليكـس قبـل أعـوام، إلى الفـترة بـين 2005 و2010. كانـت السـفارة تراقـب عاشـوراء في البحريـن بشـكل دقيـق، وتبعـث بتقاريـر مفصّلـة عـمّا يجـري، بشـكل روتينـي. كـم عـدد مـن شـارك؟ مـاذا قـال الشـيخ عيـسى قاسـم، مـاذا قـال الشـيخ عـلي سـلمان، وكيـف كان خطـاب عاشـوراء؟ كيـف كانـت الأوضـاع الأمنيـة؟ هـل كانـت هنـاك انتهـاكات، هـل كان هنـاك تسـييس، هـل ورد اسـم الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في أي شيء؟ مـاذا يزعـج هـؤلاء النـاس، مـاذا يغيظهـم، وكيـف يمكـن أن يؤثّـر إحيـاء عاشـوراء هـذا العـام عليهـم؟

هـو وجـه مـن عمليـة جمـع المعلومـات، التـي يمكـن حتـى أن تغفـل عـن رصدهـا الحكومـة، وتتراخـى في توثيقهـا المنظّـمات المدنية.

بالتزامـن مـع إحيـاء ذكـرى عاشـوراء لعـام 2015، تسـتعرض «مـرآة البحريـن» هـذه الوثائـق الخطـيرة، وتعرضهـا مترجمـة لأول مـرّة، وذلـك لأغـراض البحـث والتقـصّي، ولفهـم وتحليـل العمـل الدبلومـاسي الأمريـكي في هـذا السـياق، ورؤيتهم لهـذه المناسـبة ومجرياتهـا المختلفـة كل عـام، وتعاطـي الحكومـة البحرينيـة مـع متابعاتهـم، بـل وتزويدهـم بالمعلومـات أيضـا.

في هـذا الجـزء، سنسـتعرض قضيـة الأعـلام السـوداء، وصـور القيـادات الإيرانيـة، وقيـادة حـزب اللـه، التـي رفعـت بكثافـة في موسـم عاشـوراء عـام 2005، وخلقـت منهـا حكومـة البحريـن أزمـة كبـيرة، اسـتدعت عـلى مـا يبـدو أن تجـري فيهـا اتّصـالات مكثّفـة مـع السـفارة الأمريكيـة، التـي تكتـب عـادة كل شيء، وتبعثـه فـورا لـوزارة الخارجيـة!

برقية 1: محمد عبد الغفار يصف الشيخ عيسى قاسم بأنّه عميل إيران ويخشى من تأثير حكومة العراق الشيعية

ميّز عاشوراء العام 2005 الحملة التي شنّتها الحكومة على الاحتفالات، بحجّة رفع صور وشعارات موالية للجمهورية الإسلامية في إيران. وقد أرسلت السفارة للخارجية الأمريكية في 28 فبراير/شباط 2005، تقريرا في هذا الصدد عن لقاء عقد بين السفير الأمريكي ويليام مونرو، ووزير الدولة لشئون الخارجية في حكومة البحرين، محمد عبد الغفار.

وكان الأخير قد أبلغ السفير الأمريكي قلق حكومته العميق مما سمّاه «تدخّل إيران في شئون البحرين الداخلية»، الذي قال إنّه قد بلغ ذروته في احتفالات عاشوراء الأخيرة. وقالت البرقية إن الوزير أطلق أوصافا قاسية على الشيخ علي سلمان، والشيخ عيسى قاسم، ووصف الأخير بأنّه «عميل لإيران، يعتقد بأنها يجب أن تحكم كل دول الإقليم. إنه رجل خطير جدا».

واتهم الوزير إيران بـ»اختراق المجتمع الشيعي» في البحرين. وقال إن الكثير من احتفالات عاشوراء سُيّست لصالح إيران، ضاربا بالشيخ علي سلمان والشيخ عيسى قاسم أمثلة على من يقوم بذلك. وركّز الوزير في ذكره مظاهر هذا التسييس على تعليق صور لمؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخميني، والمرشد الإيراني السيد الخامنئي، وذلك بشكل أكبر حجما وأكثر عددا من المعتاد.

الوزير قال للسفير أيضا إن هناك «مخيّمات نصبت لتدريب الشبّان عقائديا» واصفا إيّاها بـ»الخطيرة جدا». وقال إن السلطات البحرين وجدت في هذه المخيمات شعارات حزب الله، وكذلك أعلام أمريكية وإسرائيلية ملقاة على الأرض ليدوسها الناس.

وقال عبد الغفار أيضا إنه قلق من أن حكومات شيعية في العراق وإيران يمكن أن تكون تطورا خطيرا على البحرين.

واعتبرت البرقية أن حكومة البحرين قلقة ومتخوّفة من التأثير المحتمل لنجاح الشيعة في العراق على البحرين، لكنها قالت أيضا إن هناك إشارات على أن «الانتخابات الناجحة» في العراق، تساعد على دفع الشيعة الذين قاطعوا الانتخابات في البحرين، إلى أن ينظروا بشكل جاد إلى المشاركة في انتخابات 2006»، معتبرة ذلك تطورا إيجابيا للحكومة.

برقية 2: محمد بن مبارك: الأيادي الإيرانية أكثر وضوحا في عاشوراء وخامنئي قائد سياسي وليس ديني

في 8 مارس/آذار 2005، وبينما لا يزال الناس في موسم محرّم وصفر، أرسلت السفارة برقية عن لقاء (أو ربما اتصال) بين السفير الأمريكي ووزير الخارجية البحريني محمد بن مبارك آل خليفة، تحدّث فيه الأخير عن تداعيات قضيّة الصور والشعارات في عاشوراء!

بـدوره، نقـل محمـد بـن مبـارك للسـفير، تصريحـات عـن وزيـر الداخليـة راشـد بـن عبـد اللـه آل خليفـة، عـما سـمّاه «التدخّـل الإيـراني في احتفـالات عاشـوراء في البحريـن»، كان قـد أدلى بهـا إلى نـواب في البرلمـان.

وقـال محمـد بـن مبـارك إن «الأيـادي الإيرانيـة كانـت أكـثر وضوحـا بكثـير خـلال احتفـالات عاشـوراء هـذا العـام مـما كانـت عليـه في السـنوات السـابقة» حسـب قولـه، ونقـل للسـفير بـأن آيـة اللـه الشـيخ عيـسى قاسـم ألقـى خطابـه الجماهيري محاطـا بصـور كبـيرة للخمينـي والخامنئـي وأمـين عـام حـزب اللـه السـيد حسـن نـصر اللـه، وأنـه كان محاطـا بحراسـة شـخصية.

وقـال بـن مبـارك إن الشـيعة في المـاضي «كانـوا يضعـون الصـور داخـل مآتمهـم، لكنهـا هـذا العـام في كل مـكان» وأضـاف «الشـيعة حاولـوا تغطيـة البحريـن بأعـلام سـوداء». السـفارة علّقـت عـلى تصريحـه بملاحظـة قالـت فيهـا (الكثـير مـن الأعـلام السـود توضـع في مواقـع اسـتفزازية بشـكل متعمـد، بمـا يشـمل الشـارع الـذي يقـع عليـه أكـبر مسـجد سـني في شـمال غـرب البـلاد، بقريـة سـار).

السفارة قالت إن محمد بن مبارك ادّعى أن العديد من البحرينيين الشيعة جاءوا للحكومة يشتكون من التدخل الإيراني في احتفالاتهم. وقال «لقد احتجوا على فرض مبدأ ولاية الفقيه على البحرينيين، أو حكم الشريعة»، وأضاف «خامنئي ليس قائدا دينيا، إنه قائد سياسي. إنه القائد الأعلى للجيش الإيراني».

وزير الخارجية عبّر عن قلقه من أن «المتطرفين يسيئون استخدام الحرية في البحرين»، وقال إن «الإيرانيين كانوا يستخدمون عملاء لتحريض الناس، آملين أن يخلقوا طابورا خامسا داخل البحرين»... «على الحكومة أن ترد الآن، قبل أن تصبح الأمور أسوأ. لقد واجهت البحرين تحديات مشابهة من قبل، من الشيوعيين والبعثيين».

الوزير حذّر من أن هذه الأنشطة قد تسمح للمتطرفين بتدبير أعمال إرهابية داخل البحرين، وقال إن مصادمات حصلت بين «السنة والشيعة في المحرق بسبب وضع الأعلام والرموز الدينية الأخرى في مواقع حساسة»وشكى محمد بن مبارك من محاولة مديري موقع «بحرين أون لاين»، الذين سجنوا مؤخرا، إثارة المشاكل.

برقية 3: الحكومة لم تضع سياسة للتعامل مع التمكين الكامل المحتمل للطائفة الشيعية

في 9 مارس/آذار، أرسلت السفارة تقريرا آخر، عنونته بـ «حكومة البحرين ترد على الشعارات الأجنبية في الأنشطة الشيعية خلال احتفالات عاشوراء»

التقرير قال إن الحكومة البحرينية أطلقت حملة بشكل علني وخاص، للتبرّم من «التدخّل الإيراني». وأضاف أن وزير الداخلية قال علنا إن «بعض الأشخاص نشروا رسائل كراهية بشكل علني خلال إحياء ذكرى عاشوراء في فبراير الماضي بإطلاقهم هتافات وتعليقهم لافتات تثير الانقسام داخل المجتمع البحريني».

ولفت التقرير إلى أن البحرين هي الدولة الخليجية الوحيدة التي تسمح بخروج مواكب عاشوراء الدينية بشكل واسع علنا، وقال إن وسائل إحياء الذكرى المقدّسة في البحرين تختلف باختلاف المدرسة الفكرية للمشاركين، مشيرا إلى أن عدد الذين «يقطّعون أنفسهم» (يقصد المطبّرين) هم أقلية صغيرة جدا في المجتمع الشيعي البحريني.

وقال التقرير إن المواكب الدينية تسمع للشيعة بدفع التعبير العام.

السفارة رأت أن حكومة البحرين قد تكون محقة بأن إيران تغذي النشاط في المجتمع الشيعي، ومع ذلك فإن «نجاح الشيعة المكتسح في انتخابات العراق، هو بلا شك مصدر آخر لتمكن الشيعة وثقة الجمهور بنفسه» حسب وصفها.

وقال التقرير إن حكومة البحرين تشجّع على مشاركة كل قطاعات المجتمع في العملية السياسية، لكنّها قد لا تكون مستعدة و»لم تضع بعد سياسة للتعامل مع التمكين الكامل والنجاح السياسي المحتمل للطائفة الشيعية»

وهـي ليسـت مرتاحـة «للتعامـل مـع جماهـير شـيعية تـزداد جـرأة وثقـة بنفسـها أكـثر فأكـثر».

ورأت السـفارة أن الحكومـة قـد تتخـذ إجـراءات تضـع فيهـا حـدا توقـف عنـده هـذا «النهـوض الشـيعي».

انتقـل التقريـر بعدهـا إلى تفصيـل الإجـراءات التـي اتخذهـا رئيـس الـوزراء خليفة بـن سـلمان آل خليفـة، والتـي تعكـس صـدى غضـب الحكومـة البحرينيـة مـما حـدث في عاشـوراء.

ثـم انتقـل إلى وصـف شـامل ودقيـق لمراسـم إحيـاء ذكـرى عاشـوراء، وخلفياتهـا الدينيـة والتاريخيـة، وذلـك بحسـب فهمهـا*

برقيـة 4: بـين وزيـر الداخليـة والسـيد عبـد الله الغريفـي: قلـم وعلـم

في 20 مـارس/آذار، ناقـش وزيـر الداخليـة البحرينـي راشـد بـن عبـد اللـه آل خليفـة، أحـداث عاشـوراء ذاتهـا، مـع السـفير الأمريـكي ويليـام مونـرو، وأرسـلت السـفارة تقريـرا عـن هـذا النقـاش في برقيـة لـوزارة الخارجيـة الأمريكيـة.

الوزيـر عـرض للسـفير صـورا مـن إحيـاء عاشـوراء، مـن بينهـا صـورة لـدوس العلـم الأمريـكي، واعتـبر أن الهامـش السـياسي لأنشـطة عاشـوراء كان أكـبر هـذا العـام (لكـن السـفارة وضعـت ملاحظـة قالـت فيهـا إن المنخرطـين في هـذه الأنشـطة هـم أقليـة في المجتمـع الشـيعي).

الوزيـر وصـف للسـفير الأمريـكي قلـق الحكومـة مـن نمـو الانقسـام بـين السـنة والشـيعة في البحريـن «إذا لم يتخـذ إجـراء حاسـم ضـد النشـاط السـياسي الشـيعي خـلال احتقـالات عاشـوراء الأخـيرة»، كـما اسـتعرض معـه جهـوده في ضبـط «التطـرّف الشـيعي» حسـب وصفـه.

التقرير تحدّث عن لقاء وزير الداخلية شخصيا مع أحد كبار علماء الدين في البحرين، السيد عبد الله الغريفي، في محاولة لكسب تأييده، حسب تعبير السفارة. من جانبه، طلب الغريفي من وزير الداخلية السيطرة على المقالات والافتتاحيات المناهضة للشيعة في الصحف.

التقى وزير الداخلية أيضا (بحسب ما نقل التقرير) بمجموعة من السنّة الذين قالوا إنّهم قلقون من بروز الأعلام السوداء في كل مكان بشكل مفاجئ (وقد وضعت السفارة ملاحظة توضيحية قالت إن الأعلام السواد تمثل حداد الشيعة في عاشوراء)، وقال الوزير «يظهر بأن بعض الشيعة كان يستخدمون عاشوراء كفرصة سياسية»، وأضاف «السنّة ينتظرون من الحكومة أن تفعل شيئا ما، وإلا فإنهم سيقومون بذلك بأنفسهم». لكن الوزير قال إنه قضى أمسيات عديد في مجالس الحد يحاول تهدئة العواطف، وأن يتيقن من عدم اتخاذ أي ردات فعل ضد الشيعة، حسب قوله.

وفي موقف غريب، نقلت البرقية أن وزير الداخلية قال للسفير إن «البحرين

لا ترغب أن تحذو حذو المملكة العربية السعودية التي انتظرت طويلا قبل أن ترد بشكل حاسم ضد المتطرّفين السنّة. وإذا انتظرت الحكومة طويلا، سيكون هناك رد فعل سني من السنّة ضد الشيعة. الاستراتيجية الأفضل، هي أن يقوم قيادات الشيعة باحتواء المشكلة بأنفسهم». الوزير زعم أيضا إن وزارته كانت تبذل جهدا لجلب المزيد من الشيعة في قوات الأمن.

السفارة قالت إن وزير الداخلية يلعب دورا بارزا في تعامل الحكومة مع هذه القضية، وأنه ذهب في هذا الصدد إلى التشاور مع رؤسام المآتم، كما تواصل مع السيد عبد الله الغريفي، الذي وصفه بأنه كان إيجابيا ومتفهّما لما تحاول أن تقوم به الحكومة. قال الوزير إن الغريفي قدّر زيارته، وإنه فخور بأنّه بحريني، وهو يؤمن بأن الوحدة مهمة، لكنّه عبّر عن قلقه من أن الحكومة تركت القصة تكبر كثيرا في الصحف. السفارة نقلت بأن وزير الداخلية، ورغم أنه قال للغريفي إنه لا يستطيع التحكّم في الصحافة، لكنّه قال «إنّها مسألة عَلَم وقلم»، مشيرة إلى أنه لعب على الطباق الناقص بين الكلمتين لغويا! الوزير قال للغريفي «إذا قمتم برفع أعلام حزب الله، سترفع الأقلام. إذا أردتم أن تتوقف الأقلام، أنزلوا الأعلام».

بعدها نقل التقرير مقتطفات نشرتها الصحف من حديث للسيد الغريفي ألقاه في 18 مارس/آذار ليلة الجمعة بمسجد الإمام الصادق بالقفول، وقد تحدّث فيها عن الوحدة والأمن والاستقرار وكونها خطوطا حمراء، وعن رفضه أي سلوك يضر بهذه المبادئ.

الغريفي حذّر أيضا من الأقلام التي تستغل الأحداث لإثارة العداوة بين الناس، وتحريض النظام ضد طائفة رئيسية موالية في المجتمع، داعيا الحكومة إلى إسكات هذه الأقلام ومحذرا من كارثة في حال استمرارها. وقال الغريفي

إن وزير الداخلية دعاه لزيارته، وإن موافقته ستعتمد على مقدار التغيير الذي يراه على الأرض.

تقول السفارة إن وزير الداخلية اعتبر المشكلة يمكن حلها والسيطرة عليها «هناك متطرّفون من الجانبين، وهم يحتاجون لأن يضبطوا من كلا الجانبين».

السفير، وبحسب البرقية، سأل وزير الداخلية عن ممارسات التوظيف في وزارة الداخلية، مشيرا إلى أنه سمع شكاوى من انتقاص تمثيل الشيعة فيها، ورد الوزير بأن قوات الأمن تحاول الآن بأن تضرب مثالا على التوظيف من كل الجانبين، وادّعى بأن 39 من أصل 40 من الصف الجديد من ضباط الشرطة كانوا شيعة. وأشار أيضا إلى الإعلان عن توظيف شرطة الجمتع، وقال إن أعدادا كبيرة من الشيعة تقدّمت، متوقّعة بأنّها لن تقبل في الوظائف، ولكن من باب إحراج الحكومة من جهة البطالة.

الوزير قال «حين وظف عدة منهم فعلا، رجعوا إلى قراهم وهم يشتكون بأنّهم الآن عالقون لأنهم حصلوا على وظائف لم يكونوا يريدونها في شرطة المجتمع».

برقية 5: الأعلام الحمراء والبيضاء تظهر في مسيرة الإصلاح الدستوري

في 28 مارس/آذار 2005، أبرقت السفارة للخارجية الأمريكية بتقرير عن مسيرة الإصلاح الدستوري، التي خرجت في 25 مارس/آذار. وقالت السفارة إن زعيم جمعية الوفاق تحدى وزارة الداخلية وقاد مجموعة قدّرتها بين 20-30 ألف شخص، في مظاهرة سلمية للمطالبة بالإصلاح الدستوري.

وجاءت هذه التظاهرة، في ذات الفترة التي شهدت أزمة (الصور والأعلام)، وفي نهاية موسم محرم وصفر ذلك العام. في هذا السياق، قال التقرير، في فقرة عنونها بـ(الأحمر والأبيض ألوان اليوم)، إن الشيخ علي سلمان حث المشاركين

قبـل الاحتجـاج، عـلى الامتنـاع عـن حمـل أي أعـلام أو صـور أو شـعارات أجنبيـة، وذلـك في «اسـتجابة لتحذيـرات الحكومـة العلنيـة عـن صـور وأعـلام عاشـوراء» حسـبما جـاء في تقريـر السـفارة.

وقال التقرير إن اللونين الأحمر والأبيض غطيا التظاهرة بشكل بارز.

02

«ويكيليكس»: تقرير السفارة الأمريكية
عن اللطم والإيقاع و«الحيدر» في مواكب العزاء بالمنامة

خـلال أزمـة الصـور والأعـلام في 2005، وجـدت السـفارة الأمريكيـة في المنامـة نفسـها مضطـرّة لفهـم المزيـد عـن ذكـرى عاشـوراء، وطريقـة إحيائهـا في البحريـن، وعليـه قامـت ببحثهـا، وخرجـت بتقريـر مدهـش، في ظـرف أيـام.

يعـد هـذا التقريـر[1] - الـذي أرسـل هـو الآخـر في برقيـة للخارجيـة الأمريكيـة بتاريـخ 9 مـارس/آذار 2005 - واحـدا مـن أهـم الوثائـق الرسـمية، التـي تظهـر مـدى اطّـلاع الدبلوماسـية الأمريكيـة عـلى معـاني ذكـرى عاشـوراء وأبعادهـا الثقافيـة والسوسـيولوجية، وعـلى طقـوس ومراسـم إحيائهـا في البحريـن عـلى وجـه الخصـوص، وكل التفاصيـل المحيطـة بهـا، بمـا فيهـا التفاصيـل الدينيـة، والعقائديـة.

تقـدّم البرقيـة خلفيـة عـن الأسـاس الدينـي والتاريخـي للمناسـبة، وعـن اختـلاف الشـيعة في إحيائهـا بحسـب مراجعهـم الدينيـة. يقـدّم التقريـر رصـدا مفصّـلا لمظاهـر عاشـوراء (في البحريـن عـلى وجـه الخصـوص)، ووصفـا شـاملا ودقيقـا إلى حـد مـا للمراسـم الدينيـة، بـدءا مـن حضـور المأتـم، اللطـم، الحيـدر، وحتـى مواكـب العـزاء التقليديـة، وتلـك الحديثـة، التـي تسـتخدم آلات موسـيقية

1 البرقية رقم: 05MANAMA347_a - التصنيف: سري

ربّما تكون هذه البرقية أشمل وصف توثيقي غربي صدر عن هذه المراسم الدينية، وهي بلا شك تفتح أسئلة كثيرة عن سبب اهتمام السفارة بهذه التفاصيل، وكيف تنعكس على موافقها، آرائها، وفهمها للطائفة الشيعية، وللأحداث السياسية والاجتماعية بالبلاد. وعليه قامت «مرآة البحرين» بترجمتها حرفيا.

تقاليد إحياء ذكرى عاشوراء قديمة العهد

3. أيام الاحتفال بعاشوراء لدى الشّيعة، التي يتم فيها إحياء ذكرى مقتل حفيد النبي الإمام الحسين في كربلاء، تمتد طيلة الأيام العشرة الأولى من شهر محرم بالتقويم الإسلامي. وتصل الاحتفالات إلى ذروتها في التّاسع والعاشر من محرم، اللّذين يصادفان في 18 و19 فبراير/شباط من العام الحالي. نحو 70 بالمائة من سكان البحرين مسلمون شيعة، والبحرين هي الدّولة الوحيدة من بين دول مجلس التّعاون الخليجي التي تسمح بإقامة احتفالات علنية واسعة النّطاق بعاشوراء. شيعة البحرين فخورون بوضعهم الفريد في المنطقة: أحد معارفنا تفاخر بأن الشّيعة حافظوا على هذه التّقاليد لقرون قبل مجيء أسرة آل خليفة (السّنية) الحاكمة إلى الجزيرة.

4. تشتهر عاشوراء على الأغلب بمسيرات يمشي فيها المؤمنون في مواكب يغطيها الدّم النّاتج عن ضرب النّفس بالسّيوف وجرح الرؤوس والظّهور بالسّكاكين (ما يسمى بـ»الحيدر» باللّغة العربية)، وهو يرمز إلى معاناة الحسين. وفي حين كان هذا المشهد البارز والرّهيب ظاهرًا في وسط المنامة، بالتحديد في صبيحة العاشر من محرم (19 فبراير/شباط)، أشار البحرينيون الشّيعة إلى أن احتفالات عاشوراء تحمل في طياتها أكثر من إسالة الدّماء. إنهم يلفتون إلى أنه في هذا العام تحديدًا، نظمت التّجمعات الشّيعية (المآتم) في كل من العاصمة والمدن الأصغر منها والقرى، محاضرات منتظمة حول الأحداث والشّخصيات المحيطة بعاشوراء، و»مسرحيات

عاطفيــة» تصــف معانــاة الحســين، وتبرعــات بالــدّم لدعــم المستشــفيات المحليــة، ومجســمات ورقيــة تشــير إلى شــهادة الحســين، عــلى غــرار مجســمات ولادة الســيد المســيح. وفي مســاحة شــاغرة، عــلى جانــب الشــارع الــذي يقــع عليــه مستشــفى الإرســالية الأمريكيــة المعــروف، وســط المنامــة، يقــدّم علــماء ديــن شــيعة، مــن بينهــم واحــد عــلى الأقــل ذو أصــل إيــراني، محــاضرات بلغــة إنجليزيــة جيــدة، للأجانــب المهتمــين.

نماذج مختلفة من المشاركين في طقوس المواكب

5. عــلى الرّغــم مــن كونهــا أقــل دمويــة، فــإن مواكــب عاشــوراء في ليــل التّاســع مــن محــرم، 18 فبراير/شــباط، كانــت لافتــة مــن حيــث الحجــم والتّنــوع والحماســة الدّينيــة. وباســتثناء مجموعــة مــن حــوالي عــشرة شــبان ضربــوا ظهورهــم بالسّــيوف والسّــكاكين، لم يجــرح الآلاف الذيــن شــاركوا في المســيرة أنفســهم. وقــد مشــت معظــم المجموعــات، التــي نظمتهــا المآتــم، في صفــوف (مؤلفــة مــن الرّجــال فقــط) ترافقهــم أحصنــة مــن دون ركاب، وخطبــاء يلقــون أناشــيد عــبر أنظمــة صوتيــة محمولــة، وطبــول ويافطــات، والنعــش الرمــزي الخــاص بالمناســبة.

إحدى المجموعات رافقتها فرقة يرتدي أعضاؤها زيًا موحدا من الساتان الأسود مع أوشحة ذهبية، تشابه مشهد موكب جنائزي على موسيقى الجاز «ديكسيلاند» في مدينة نيو أورليانز الأمريكية.

6. تعرف (تسمّى) المآتم من خلال موقعها في منطقة ما من البحرين، أو من خلال الأصل العرقي لأعضائها. هناك مآتم للشّيعة من أصول بحرينية، الذين يدعون بـ «البحارنة»، ولذوي الأصول الفارسية الذين يحظون بجنسيات بحرينية، ويدعون بـ «العجم» (بعض هذه العائلات موجودة في البحرين على مدى أجيال لكنها تُعتبر فارسية)، وللعمال الوافدين من شبه القارة، ومعظمهم باكستانيون، وللسعوديين من المنطقة الشّرقية الذين يستطيعون ممارسة شعائرهم الدّينية في ظل حرية نسبية. وتؤدي كل من هذه المجموعات نمطًا خاصًا من جلد الذّات في انسجام تام. ويضرب عدد منهم صدورهم بأيديهم اليمنى برفق، ويؤدي آخرون حركات إيقاعية معقّدة، مشابهة للرّقص، تنتهي بضربة عنيفة على صدورهم بكلا اليدين، فيما تضرب مجموعات أخرى بعنف ظهورها بسلاسل مجدونة، متصلة بمقابض

خشبية. هناك مستوى معين من «اللهو»، والمزايدة المراهقة في الحماس الذي يظهره بعض المؤمنين. أفراد مجموعات صغيرة، مكونة من إخوة وأقارب وأصدقاء مقربين، على ما يبدو، يحثون بعضهم البعض على إظهار المزيد من الحماسة في الصّراخ والدّعاء واللطم.

7. تصطف على طريق الموكب أكشاك أنشأتها المآتم، يتم فيها توزيع المشروبات السّاخنة والباردة والأطعمة المجانية لكل الحضور، بمن في ذلك موظفي السّفارة (الذين كان من الواضح أنهم غير بحرينيين). المتطوعون في الأكشاك يبذلون أقصى جهودهم لجعل الأجانب يشعرون بأنهم مرحب بهم، ويقدمون شخصيًا الطّعام والشّراب إلى أولئك الواقفين مباشرة أمامهم. كما أنهم يتقدمون باتجاه المواكب لمسافات قصيرة لتزويدهم بالمرطبات، تمامًا كما يفعل المتفرجون عند تقديم المشروبات إلى المتسابقين في الماراثون. يشاهد كثير من النّساء والأطفال المواكب من جوانب الطّرقات أو من النّوافذ، في إضافة إلى الأجواء التي تبدو كرنفالية تقريبا.

عرض علني لصور علماء الشّيعة

8. تنتشر عدة صور، بما في ذلك صور كبيرة جدا للخميني والخامنئي، على طول طريق الموكب في قلب المنامة. ويوجد على الجدران ملصقات تحمل صور الإيرانيين الاثنين وأيضًا أمين عام حزب الله نصر الله. وعلى الرّغم من أن موظفي السّفارة لم يروا أي أعلام لحزب الله، غير أن متفرجين آخرين رأوا ذلك. وجاءت بعض الملصقات كاحتجاج على المادة الـ 56 من دستور البحرين 2002***، الذي يمنح عفوًا عامًا لمجموعة، بينهم عناصر من قوات الأمن، يتهمهم الشّيعة بتعذيب وقتل معتقلين خلال صراع منتصف التّسعينات. وتظهر هذه الملصقات صور أجساد القتلى في الاشتباكات مع قوات الأمن وأثناء الاعتقال. وحمل عدد قليل من المشاركين في المواكب شارات كُتِب عليها «الموت لأمريكا» و«الموت لإسرائيل» بالفارسية.

الشّيرازيون في أقصى الحدود

9. وفقًا لمصادر شيعية، فإن الطّرق المختلفة في إحياء ذكرى عاشوراء تعكس مدارس عقائدية مختلفة في المجتمع الشّيعي. يتبع البحرينيون الشّيعة اتجاهات مختلفة داخل الطّائفة الشّيعية، بما في ذلك اتجاهات الخميني والخامنئي والخوئي وفضل الله والسّيستاني والشّيرازي. في أواخر الثّمانينيات، أصدر الخميني فتوى مفادها أن ضرب الحيدر وإسالة الدّماء «حرام» أو غير مقبول شرعًا. وأوصى بأن يتبرع الشّيعة بدمائهم بدلًا من ذلك. وما تزال أغلبية شيعة البحرين تتبع تعليماته. غير أنه، وبعد سنتين فقط، عارض ذلك آية الله محمد الشّيرازي (المتوفى حاليًا)، زعيم الحركة الشّيرازية الأكثر تطرفًا، وأفتى بأن ضرب الحيدر هو أمر مقبول دينيًا. وتزامنت فتواه مع الانفتاح السّياسي الأكبر في البحرين، الذي أدت إليه سياسات الملك في الإصلاح، وسرعان ما عاود مؤيدو الفلسفة الشّيرازية استئناف هذه الممارسة الدّموية، التي ينظر إليها عدد من الشّيعة غير الشّيرازيين بعين الاشمئزاز.

10. مأتم القصاب في وسط المنامة هو مركز الشّيرازيين في البحرين. وتديره أسرة آل العلوي. وينتمي إلى هذه الأسرة وزير العمل والمعارض المنفي السابق مجيد العلوي، ولكنّ علاقته غير وثيقة بفرع الأسرة المسؤول عن مأتم القصاب. وتقول مصادرنا إن كل الرّجال الذين يضربون الحيدر في مواكب عاشوراء هم أعضاء في هذا المأتم. وقد زعم أحد المصادر أن عددًا من السّعوديين الشّيعة الذين يأتون إلى البحرين خلال الاحتفالات هم أعضاء في الحركة الشّيرازية ويجرحون أنفسهم أيضا في المواكب الدينية.

03

ويكيليكس 2006... فريد المفتاح للسفير الأمريكي:
سلفيون سنّة نظّموا برامج مستفزّة في عاشوراء!

بدءا من 2005، سيصبح تقرير السفارة الأمريكية في المنامة عن إحياء ذكرى عاشوراء، تقريرا روتينيا، حتى لو كانت المناسبة خالية من الأحداث المثيرة، وحتى لو لم يكن لها أية تداعيات على الأرض. ستصبح عاشوراء في البحرين حدثا في حد ذاتها، ينبغي أن تراقب، وترصد، وترفع عنها التقارير.

في 2006، وردت برقيتان ذكرت فيهما المناسبة، الأولى هي التقرير السنوي الذي سيصبح تقليدا، والثانية هي تقرير عن اجتماع مثير عقد بين وكيل وزارة الشئون الإسلامية فريد المفتاح، والسفير الأمريكي ويليام مونرو، لإطلاع الأخير على جهود الوزارة خصوصا في التقريب بين السنّة والشيعة، بما فيها تلك الجهود المبذولة خلال مناسبة عاشوراء!

عاشوراء 2006 كان أكثر هدوءا من سابقه، وأكثر ما تحدّث عنه تقرير السفارة فيه هو خلوّه من التوتّرات ومظاهر العنف، فضلا عن قيام مجموعات شيعية بضبط الأمن والحماية بنفسها في منطقة المواكب بالمنامة، التي خلت من أجهزة الأمن الرسمية تماما «لمدة 10 أيام كل عام، نحن نسيطر على المنطقة. الحكومة تسيطر عليها في الأيام الـ 355 الأخرى من السنة»، تنقل السفارة عن أحد معارفها.

في برقية السفارة الأمريكية أيضا، تقرير عن أنشطة حركة حق خلال

عاشوراء، وتقرير عن الجدل الذي أثارته اللافتة التي تحمل كلمة الشيخ عيسى قاسم عن «معسكر الحسين ومعسكر يزيد»، وكذلك وصف بصياغة أخرى لطقوس ومظاهر المناسبة الدينية، التي قالت إنها شبيهة بما يجري في أعياد الكرسمس، فضلا عن إشارة إلى الأجواء السياسية التي كانت تحيط بالحدث، وعلى رأسها اعتقال مجموعة شبّان من مطار البحرين الدولي بعد اعتصامهم احتجاجا على اعتقال الشيخ محمد سند.

وقد قدّرت السفارة المشاركين في احتفالات عاشوراء عام 2006 بـ 150 ألف شخص، بعضهم من السعودية والكويت.

عاشوراء 2006

في فبراير/شباط 2006، أرسل السفير الأمريكي بالمنامة ويليام مونرو، تقريره الذي سيكون بدءا من 2005 سنويا، عن إحياء ذكرى عاشوراء في البحرين.

بدأ التقرير بذكر عدد الذين شاركوا في مواكب عاشوراء الدينية في مدينة المنامة القديمة، وقد قدّره السفير بـ 150 ألف شخص. ونقل التقرير عن

جميع الشهود، بمن فيهم موظفو السفارة الذين حضروا الاحتفالات، أن الحدث مضى على نحو سلس جدا، بلا تقارير عن مواجهات أو عنف.

وبصياغة أخرى، ذهب التقرير ليصف طقوس عاشوراء مجددا «مجموعات كبيرة أغلبها شبّان أعدادهم بالآلاف أحيانا، يسيرون في انسجام في دائرة طولها عدة كيلومترات، بينما يضربون صدورهم بأيديهم بشكل متناغم، أو يضربون ظهورهم بسلاسل».

ويضيف «تنظّم المجموعات عن طريق العديد من الصالات الشيعية الدينية/ الاجتماعية في المنطقة، والتي تدعى المآتم».

وعرّج التقرير على ذكر الأنشطة الأخرى في عاشوراء تحت عنوان «أشياء لكل الناس خلال عاشوراء»، وقد تحدّثت الفقرة عن المضائف، وعن المرسم الحسيني، وحملات التبرع بالدم، ومخيم التوعية للجاليات الأجنبية الذي يعطي محاضرات بالإنجليزية عن عاشوراء، وكذلك مسرحيات عن معركة كربلاء.

«هنـاك الكثـير مـن العـروض المشـابهة لمشـاهد عيـد الكرسـمس، تنتـشر عـلى مـدار المنطقـة، تصـوّر جانبـا مـن القصـة، بعضهـا يطـل بشـكل مريـع في التفاصيـل التـي تلفتهـا».

لم يغفل التقرير أيضا ذكر موكب العزاء الذي تتقدّمه فرقة موسيقية.

ووضـع التقريـر اقتباسـا مـن تصريـح رئيـس لجنـة المواكـب الحسـينية، حسـين العلـوي، مشـيرا إلى مشـاركة كويتيـين وسـعوديين في احتفـالات البحريـن بعاشـوراء.

الأعلام والصور في 2006

وعطفـا عـلى أزمـة الأعـلام والصـور في 2005، يشـير التقريـر إلى أن موظفـي السـفارة لم يلاحظـوا أحـدا مـن المشـاركين حمـل ملصقـات أو أعـلام أو صـور لقـادة أجانـب، مثـل آيـة اللـه الخمينـي، والخامنئـي، وأمـين عـام حـزب اللـه السـيد حسـن نـصر اللـه، لكنّهـم رأوا لافتـة كبـيرة ثابتـة عليهـا صـورة عـالم الديـن البحرينـي الشـيعي البـارز الشـيخ عيـسى قاسـم، إلى جانبـه نـصر اللـه «كما نصبـت بعض المآتم شاشـات تلفزيـون عـلى الشـارع، تبـث خطابـات واحتفـالات بينهـا لنـصر اللـه».

«وعلقـت عـلى الجـدران منشـورات فيهـا صـور لآيـة اللـه السيسـتاني، وعبـارات طبيعتهـا دينيـة بالكامـل».

غياب رجال الأمن وسيطرة الشيعة على وسط المنامة

ولاحـظ موظفـو السـفارة الذيـن حـضروا المناسـبة كمراقبـين، بأنـه لم يكـن هنـاك حضـور أمنـي بـزي رسـمي في المنطقـة، سـوى لرجـال المـرور، في حـين كان هنـاك متطوعـون مرتبطـون بالمآتـم، يلبسـون شـارات ويحملـون أجهـزة اتصـال لاسـكلية، منتـشرون في منطقـة المواكـب، وينخرطـون بشـكل نشـط مـع الحاضريـن لتزويدهم بالمعلومـات والمسـاعدة إذا احتاجوهـا.

السـفارة نقلـت عـن أحـد معارفهـا قولـه بـأن عاشـوراء هـي فـترة يحظـى فيهـا

الشيعة بحريات ضخمة «لمدة عشرة أيام كل عام، نحن نسيطر على المنطقة. الحكومة تسيطر عليها في الأيام الـ 355 الأخرى من السنة».

الأجواء السياسية في عاشوراء 2006

ورد في التقرير أيضا، الأجواء السياسية المرافقة للذكرى، وهي الحكم بإدانة 12 شابا شيعيا شاركوا في احتجاجات بمطار البحرين الدولي، بعد اعتقال رجل الدين المعروف الشيخ محمد سند من هناك، (ديسمبر/كانون الأول 2005)، وأشار التقرير إلى أن الأحكام أثارت غضب المجتمع الشيعي، وكانت موضوعا للنقاش خلال أيام عاشوراء.

«لاحظ موظفو السفارة حشدا من 500 شخص يستمعون لمتحدّث يشجب ويستنكر قيام الحكومة بإدانة هؤلاء. ورغم التوتر، لم يكن هناك عنف أو صدامات».

«المشهد الأكثر إزعاجا هو مجموعة من 20 شابا يلبسون عصابات، وأقمصة، وسراويل تمويه، بهيئة عسكرية، يركضون ببطء في انسجام، ويهتفون الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، الموت للدنمارك... وفي تطور فريد من نوعه في حدث 2006، مشى المشاركون في المواكب الدينية على 10-20 لوحة حفرت على الطرق ورسم عليها العلم الدنماركي. هذا بالإضافة إلى مجموعة من اللوحات رسم عليها ألوان العلمين الأمريكي والإسرائيلي».

وأشارت البرقية أيضا إلى اجتماع وزير الداخلية برئيس هيئة المواكب الحسينية، حسين العلوي، وعضو مجلس الشورى فؤاد حاجي، والنائب عيسى بن رجب، لمراجعة الجانب الأمني للمناسبة. ولفتت البرقية إلى أن الاجتماع حدث في ذات الوقت الذي اتّهم فيه قادة المجتمع في قرى شيعية، الشرطة، بنزع أعلام سوداء غطت مناطق شيعية بمناسبة عاشوراء، الأمر الذي احتج عليه أيضا أعضاء في مجلس بلدي الشمالية.

نشاط حركة حق: عريضة الأمم المتحدة

أوردت البرقية أيضا فقرة عن نشاط حركة حق في عاشوراء (وهو النشاط الأول لها حيث تأسست في العام 2005):

«حركة حق (يمين)، مجموعة متشددة منشقة عن جمعية الوفاق الشيعية المعارضة، أصدرت بيانا صحفيا في 6 فبراير/شباط تعلن فيه عن عريضة ستقدّم إلى الأمم المتحدة للدعوة إلى دستور ديمقراطي جديد يصاغ من قبل مجلس منتخب. داعمو العريضة وضعوا طاولات وأكشاك في أقسام عدة من وسط المدينة، وعرضوا فيديو عن فقر الشيعة في البحرين في المحيط الخارجي لأكبر مأتم. المنظمون أعلنوا أن هدفهم هو الحصول على 100 ألف توقيع على العريضة خلال عاشوراء، أي في الغالب 25% من مواطني البحرين. حتى اليوم، لم يعلن عن عدد الموقعين، ولكن مصادر مطّلعة قالت إن المجموعة وصلت إلى هدفها على الأرجح».

لافتة الشيخ عيسى قاسم: معسكر الحسين ومعسكر يزيد

توثّق البرقية واحدة من أهم الأحداث في عاشوراء، وهي حادثة اللافتة التي نشرتها جمعية التوعية الإسلامية، وتحوي كلمة قديمة للشيخ عيسى قاسم، أثارت عليها جهات موالية للنظام جدلا واسعا، أدّى في النهاية لإزالتها من قبل السلطات، ولشن حملة معادية للشيخ قاسم وجميعة التوعية في الصحف، وعلى ألسن المسئولين.

«الجدل الأكبر انفجر بعد أكثر من أسبوع من نهاية عاشوراء» تصف البرقية.

تشير البرقية في البداية إلى أن إثارة الجدل على اللافتة بدأ من صحيفة الوطن «التي يقال إنها على صلة بالمجتمع السلفي السني في البلاد»، حيث نشرت خبرا في 18 فبراير/شباط تهاجم فيه العبارة التي وردت على اللافتة.

«تقول عبارة الشيخ عيسى قاسم، بأسلوب موار - غير مباشر-، إن البحرين تنقسم إلى معسكرين، معسكر الحسين ومعسكر يزيد (الذي قتله جيشه الحسين وأتباعه في كربلاء)» بحسب البرقية.

تعلّق البرقية «في حين تقول تفسيرات متسامحة للعبارة بأن قاسم كان يقصد الفروق بين المسلمين الصالحين، المتقين، الواعين، والمسلمين الساقطين، إلا أن

الغالبيـة فهمـت بأنـه يقصـد بـأن الشـيعة هـم معسـكر الحسـين، والسـنّة هـم معسـكر يزيـد».

تذهـب البرقيـة بعدئـذ إلى سرد تداعيـات القضيـة، مشـيرة إلى دخول مسـئولين كبار في الدولـة، وأعضـاء في البرلمـان، وكتـاب مقـالات، في هـذا الجـدل بعمـق. ولفتـت إلى أن مجلـس الـوزراء «أدان اللافتـات والشـعارات التـي تهـدد الوحـدة الوطنيـة، وقـال إنهـا إسـاءة اسـتخدام للديمقراطيـة والحريـة»، كـما وضعـت تصريحـا في السـياق ذاتـه عـن رئيـس الـوزراء انتقـد فيـه «اللافتـات المثيرة للعـداء».

أمـا رئيـس مجلـس النـواب وقتهـا، خليفـة الظهـراني، فقـد أدان اللافتـة، بحضـور رئيـس الـوزراء، وقـال إنهـا بالـون لاختبـار الحـدود المسـموحة للخطـاب المقبـول، بينـما هـدّدت وزيـرة التنميـة وقتهـا فاطمـة البلـوشي، باتخـاذ إجـراءات ضـد جميعـة التوعيـة، في حـين طالـب النائـب السـلفي جاسـم السـعيدي بإزالـة جميـع اللافتـات التـي تسـبب الانقسـام في المجتمـع البحرينـي.

تعـرّج البرقيـة بعدهـا عـلى مقـال الصحافيـة الموالـية للنظـام، سوسـن الشـاعر، ومقـالات كتـاب آخريـن، انتقـدوا فيهـا مـا أسـموه «تسـييس الدين بهـدف الإضرار بالوحـدة الوطنيـة»، ثـم تـورد البرقيـة مـا قالـه منصـور الجمـري، رئيـس تحريـر صحيفـة الوسـط، مـن أن الشـعارات التـي تبعـث برسـائل مشوّشـة يجـب أن لا تعلّـق لتـلافي أي صدامـات، حتـى لـو كانـت جمعيـات دينيـة أخـرى، قـد وضعـت في السـابق لافتـات دينيـة سياسـية ترهـب الطـرف الآخـر.

تعليق السفارة الختامي على التقرير

«بالنظـر إلى خلفيـة المصادمـات المتقطعـة بـين الشرطـة وشـبان شـيعة منـذ أواخـر نوفمبر/تشريـن الثـاني 2005، أحيـت عاشـوراء بخلـو مميـز مـن التوّتـرات أو العنـف. نائـب برلمـاني شـيعي أكّـد لموظفـي السـفارة أنـه لـن يكـون هنـاك عنـف خـلال الحـدث، قائـلا إن «الشـيعة يريـدون أن يظهـروا للحكومـة وكل

البحرينيين بأنهم يستطيعون حماية أنفسهم حين يعطوا الفرصة». الآن وقد انتهت عاشوراء، وعادت أجهزة الأمن البحرينية لفرض سيطرتها على الشوارع مجددا، فإن هؤلاء الذين يسعون إلى إثارة المواجهات، لا يشعرون بالعوامل النبيلة التي كانت تضغط عليهم ليتصرفوا كما فعلوا خلال أيام الذكرى. وفي حين كان المشهد هادئا في الغالب منذ نهاية عاشوراء، إلا أن الجو المشحون قد يعود حين ينزل مؤيدو الشبّان الـ 19 المعتقلين إلى الشوارع، وحين يقترب وقت الانتخابات التشريعية والبلدية».

2006: وكيل وزارة الشئون الإسلامية: الحسين لكل المسلمين، وهو يوحدهم ضد التحديات العالمية

وثّقت برقية أخرى أرسلت بتاريخ 19 فبراير/شباط 2006، اجتماعا جرى بين وكيل وزارة الشئون الإسلامية الدكتور فريد المفتاح، والسفير الأمريكي ويليام مونرو، في 7 فبراير/شباط 2006.

وخلال الاجتماع، قال المفتاح للسفير إن وزارته تحاول أن تنشر الوعي بين السنة

والشيعة قبيل مناسبة عاشوراء «رتّبت الوزارة ظهورا مشتركا لعلماء شيعة وسنة على برامج تلفزيون البحرين، لمناقشة التعايش، التسامع، التفهّم، والاحترام لثقافات الآخرين».

المفتاح قال للسفير إن معظم الجماهير تقبّلوا هذه الرسائل، لكنّه قال إن «بعض السنّة قالوا إن عاشوراء ليست يوما مقدّسا لديهم، وعليه فإنّهم لا يستطيعون أن يخطبوا عنها»، وقد كان ردّه بأن «الإمام الحسين هو لكل المسلمين وليس للشيعة فقط. إنه يستطيع أن يخدم في توحيد المسلمين في وجه التحديات العالمية».

المفتاح أشار للسفير بأن بعض مساجد السنة، وتحديدا تلك التي تتبع التفسير السلفي الأصولي، تقيم برامج للتركيز على الهويّة السنّية خلال عاشوراء. ولمواجهة هذه الأعمال التي قد تكون مستفزّة، شجّعت الوزارة السنة والشيعة على الانخراط خلال المناسبات الإسلامية. «لقد نظّم زيارات لرجال دين سنّة إلى مآتم خلال عاشوراء، ليظهروا التفّهم، وليقلّلوا من الريبة».

04

برقيّات السفارة الأمريكية 2007 و 2008:

عاشوراء البحرين...

الرغبة في التعبير عن الهويّة الشيعية إلى الحد الأقصى!

فضلا عن عكس اهتمامها الشديد بمتابعة إحياء عاشوراء في البحرين، إلى تقارير سنوية، زار السفير الأمريكي السابق آدم إيرلي بنفسه احتفالات ذكرى عاشوراء في المنامة عام 2008، يصحبه مسئولون في السفارة، ضمن ما قالت برقية إنها كانت مهمة عمل الهدف منها تعزيز التواصل مع المجتمع الشيعي في البحرين!

في 1 فبراير/شباط 2007، بعثت السفارة الأمريكية ما يمكن أن يكون التقرير الثالث من نوعه، عن إحياء ذكرى عاشوراء في البحرين، منذ أن بدأت تولي اهتماما شديدا بالمناسبة في العام 2005. كان هذا التقرير موقّعا من سوزان زيادة، نائبة السفير الأمريكي وقتها، والتي تشغل حاليا منصب الوكيل المساعد لوزير الخارجية الأمريكي.

وفي 27 يناير/كانون الثاني 2008، أرسلت السفارة الأمريكية تقريرها العاشورائي السنوي، موقّعا من السفير السابق آدم إيرلي، الذي كان قد عيّن حديثا.

وفي الواقع، يمكن القول، إن لهجة هذه التقارير قد تغيّرت تجاه البحرينيين الشيعة منذ العام 2007، حتى لا نكاد نجد فروقا بين برقية العام 2007 وبرقية العام 2008!

250 ألف مشارك وتغطية تلفزيونية متواضعة

تقرير السفارة الأمريكية في 2007 رصد مشاركة ما بين 100-150 ألف شخص في المراسم الدينية التي تستذكر مقتل «الإمام الحسين، البطل والشهيد لدى الشيعة» حسب وصفه.

ولفت التقرير إلى أن عدد الكويتيين والسعوديين المشاركين في ذلك العام كان كبيرا، واصفا ذلك بأنّه مفاجئ، وقال إن هناك مأتما يتبع الشيعة الذي ينحدرون من المنطقة الشرقية بالسعودية، ولفت إلى أن شيعة المناطق الأخرى لديهم الحرّية في المشاركة بالأنشطة التي ينظّمها أي مأتم بحريني.

أمّا برقيّة 2008 فقدّرت عدد المشاركين في المراسم الدينية بين 200-250 ألف شخص، مكررة الإشارة إلى أن عددا كبير جاء من السعودية، الكويت، والإمارات.

من جهة أخرى، نقلت برقية 2007 عن مراقب مطّلع أنّه قال إن تلفزيون البحرين خصص تغطية صغيرة للمواكب الدينية، وإنّه في الحد الأقصى عرضت

نشراتـه الإخباريـة بعـض مقاطـع الفيديـو لهـذه المواكـب. في حـين أشـارت البرقيّـة إلى أن محطـة «الزهـراء» الفضائيـة، التـي تركّـز عـلى القضايـا الشـيعية الدينيـة، والتـي يعـود جـزء مـن ملكيّتهـا إلى بحرينيـين، قدّمـت تغطيـة بـلا توقّـف، لإحيـاء المناسـبة في البحريـن وكربـلاء.

لا عداء علني لأمريكا ولا صور للقادة الإيرانيين

في سـياق آخـر، قـال تقريـر 2007 إنـه وعـلى عكـس السـنوات الماضيـة، لم تنتـشر في الشـوارع صـور القـادة الإيرانيـين السـيد الخمينـي والسـيد الخامنئـي، ولا صـورة قائـد حـزب اللـه السـيد حسـن نـصر اللـه، لكنّـه قـال إن خطـاب نـصر اللـه بـث بشـكل مبـاشر عـبر شاشـة تلفزيـون وضعـت في أحـد الشـوارع.

وقـال إن أغلـب الأعـلام واللافتـات التـي علّقـت كانـت تخـص القـادة الدينيـين البحرينيـين فقـط.

ولفـت التقريـر إلى أن مـا خلـت منـه المناسـبة في ذلـك العـام أيضـا، هـو المعـاداة العلنيــة للولايــات المتّحــدة الأمريكيــة. وقــال إن الخطبــاء تجنّبــوا في الغالــب

الانتقاد الصريح للولايات المتّحدة، رغم أنّه كان هناك الكثير من الحديث عن «عدو» غير محدّد.

أما تقرير 2008 فقد أشار إلى ما سمّاه نجاح المنظّمين مجدّدا في تجنّب نشر صور القادة الإيرانيين أو قادة حزب الله، لكنّه قال إن بعض الصور الكبيرة للخميني شوهدت من قبل موظفي السفارة داخل عدد من المآتم، ولفت التقرير إلى أنّ الإعلاميين السنّة كانوا يشكّكون في ولاء الشيعة خلال السنوات الماضية بسبب هذه الصور.

الشيخ عيسى قاسم في برقيات السفارة الأمريكية 2007 و2008

حتى نظرة السفارة إلى الشيخ عيسى قاسم، يبدو قد تغيّرت نوعا ما في هذه البرقيات.

برقية 2007 نقلت أن «رجل الدين الشيعي الأبرز في البحرين، الشيخ عيسى قاسم»، أقسم في خطاب ألقاه في 29 يناير/كانون الثاني، بهذه المناسبة، إنه لن يقبل أبدا باضطهاد أي سنّي وإنّه سيقاتل إلى جانب السنّة لاستراجع حقوقهم المسروقة في أي مكان بالعالم. ونقل التقرير أن قاسم اشتكى من أن الانقسامات بين المسلمين تنتج من سياسات الولايات المتحدة وأوروبا.

أما برقية 2008 فقد أشارت إلى أن الشيخ عيسى قاسم «القائد الروحي للمجتمع الشيعي في البحرين»، قاد موكبا صامتا لرجال الدين، كان من بينهم رئيس جمعية الوفاق الشيخ علي سلمان، وذكر بأن المتفرّجين الذين كانوا في الطريق التزموا الصمت حين شاهدوا الشيخ قاسم على رأس الموكب.

السياسة في عاشوراء 2007 و2008

ولفت تقرير 2007 إلى قيام المجلس الإسلامي العلمائي وقتها بتوزيع نشرة تدعو إلى الوحدة الوطنية، والتفهّم، بغض النظر عن الطّائفة، في وقت تشهد فيه المنطقة توتر العلاقات الطائفية بشكل متزايد.

وفي قسم آخر من تقرير 2007، قالت السفارة إن أعضاء البرلمان الشيعة الذين انتخبوا حديثا علّقوا لافتات في الشوارع، كفرصة للتواصل مجدّدا مع الناخبين.

وأشارت البرقية إلى لافتة علّقت في أحد الشوارع تستذكر مقولة للإمام الحسين عن رفضه العيش تحت الظلم أو الاضطّهاد، والتي فسّرت محليّا بأنّها تعني وضع الشيعة كونهم يعيشون في ظل حكومة سنّية، بحسب التقرير.

ولفتت البرقيّة كذلك إلى ما سمّته أبرز قضية محليّة ضاغطة وقتئذ، وهي محاكمة اثنين من الناشطين الشيعية بسبب حيازتهم وتوزيعهم «مطبوعة غير قانونية»، قبيل الانتخابات، وهي كتاب الدكتور سعيد

الشهابي الذي يحث فيه على المقاطعة وعلى التشكيك في شرعية أسرة آل خليفة الحاكمة. وقال التقرير إن مؤيدي الناشطين رفعوا صورهم خلال مراسم عاشوراء، وقد أدانتهم المحكمة لاحقا وقضت بسجن أحدهم 6 أشهر والثاني سنة.

توقّعت السفارة بأن الأحياء والقرى الشيعية ستعود بعد المناسبة إلى سيطرة الشرطة وأجهزة الأمن الحكومية، كما توقّعت أن تظهر من جديد الاحتكاكات وسوء التفاهم بلا شك.

تقرير 2008 قال إن رجال دين شيعة، ورؤساء المآتم الذي ينظمون المراسم، عملوا بشكل كثيف مع السلطات ليبقوا السياسة بعيدا عن المناسبة، حسب وصفه. لكنّه قال إن «السلطات البحرينية، وقادة المجتمع الشيعي، كانوا قلقين من قيام حركة حق، ذات العلاقة بأحداث العنف التي وقعت في الشارع ديسمبر الماضي، باستخدام المناسبة للتحريض على جولة جديدة من الاضطرابات والاحتجاجات على مقتل علي جاسم مكي».

ووثق التقرير قيام حركة حق بنصب ركن خارج مسجد الخواجة (الذي وصفه بأنه مركز المعارضة السياسية الشيعية من مدّة طويلة)، وكذلك قيامها بنصب مقرّات في 3 أماكن أخرى لجمع توقيعات على عريضة تنادي باستقالة رئيس الوزراء «وفي حين أن بعض الأشخاص كانوا يقفون للتوقيع، فإن الاستجابة تبدو متوسّطة في أحسن الأحوال»، مستنتجا في الختام بأن حركة حق لم تلق سوى تجاوب فاتر مع خطاباتها، حسب وصفه.

«الحيدر» في برقيّات السفارة الأمريكية: أقل من 10% يؤيّدونه فقط

برقية السفارة في 2007 روت بأن مجموعة تمثّل حسينية كويتية، قدّمت بشكل منفرد عرضا مخيفا، سار فيه حوالي 100 شخص وهم يحملون

السيوف، ويهتفون «حيدر، حيدر»، اللفظ الذي يطلقونه عند قيام أحدهم بجرح جبهة رأسه بالسيف، في إحياء رمزي لمقتل الإمام الحسين وقطع رأسه. وقال التقرير نقلا عن أحد المصادر أنه يؤكد بأنّ أقلّ من 10% من البحرينيين الشيعة يؤيّدون ممارسة «الحيدر».

القسم الثالث من تقرير السفارة في 2008 كان تحت عنوان «حيدر! حيدر!»، وجاء فيه إنه من المحتمل أن أكثر ميزة سيّئة الصيت لمواكب عاشوراء هي «التطبير»، وذكر أن هذه الممارسة تصبح أقل شيوعا، إذ إن رجال الدين الرئيسيين يستنكرونها كل سنة، ويحثون الشيعة على التبرّع بالدّم بدلا من ذلك. وفي هذا السياق، لم يغفل التقرير أن يشير إلى أن الآلاف من البحرينيين استجابوا هذه السنة وشاركوا في حملات التبرّع بالدم في مستشفيات محلّية.

«مع ذلك، لا يزال عدد قليل من المآتم يمارسون التطبير، بميل شديد، يظهرون فيه الرجولة بمقدار ما يظهرون فيه الإخلاص للإمام الحسين»، وأورد التقرير مشاهدات موظفي السفارة بهذا الخصوص، وقال إنّهم رأوا مجموعات تضرب

نفسها بالسيوف وهي تهتف «حيدر! حيدر!» على وقع قرع الطبول، وعلى وقع قصائد كان يتلوها رجل دين عراقي متخصص، حسب وصفه.

الاختلاط بين الجنسين

وكان من اللافت أن التقرير أشار إلى قيام متطوّعين بعزل مساحات من الأرصفة للنساء، لكنّه قال إن ذلك لم يردع المراهقين والعشرينيين، الذين ينظرون إلى التجمّع على أنه فرصة لكي يشاهِدون، ويشاهَدون، حسب وصف السفارة.

وقال التقرير نقلا عن [مصادر] إن الشبّان الشيعة يستخدمون احتفالات عاشوراء للاختلاط مع الجنس الآخر، ونقل عن أحد مراقبي السفارة إنّه رأى مراهقا يرمي ورقة صغيرة يعتقد أن فيها رقم هاتفه النقال إلى مجموعة من 4 فتيات، اللواتي ضحكن وابتعدن.

في تقرير 2007، قالت البرقية نقلا عن أحدهم، إن أهم عمل لدى المنظّمين المتطوّعين هو أن يضمنوا أن لا يتحرّش الرجال المشاكسون بأي امرأة تحضر هناك.

الهويّة الشيعية

ومجددا لفتت البرقيتان في 2007 و2008 إلى أن الشرطة البحرينية ورغم تطويقها منطقة العزاء لضبط حركة مرور السيارات، بقيت خارج محيطها، وأن التنظيم كان بأكمله بيد متطوّعين شيعة.

رأت السفارة في 2007 إن البحرينين الشيعة خلقوا صورة حميدة لإحياء ذكرى عاشوراء بشكل مقصود، مرجّحين أنّها ربما كانت محاولة لأن يثبتوا للحكومة والسلطات الأمنية بأنهم يستحقون القيام بمسئولية أكبر في المجتمع، وإنّهم مستعدّون لذلك.

في ختام تقرير 2008، عزت السفارة نجاح إحياء مناسبة عاشوراء في 2008 إلى قادة التيار الشيعي الرئيسي، وإلى انخفاض التواجد الأمني. وأكّدت أن المناسبة لم تشهد تظاهرات ولا عنف، وإن أكثر المشاركين بدوا راغبين في أن يتمتّعوا بفرصة التعبير عن هويّتهم الشيعية إلى الحد الأقصى.

05

خطبة الخواجة في عاشوراء 2009:
«العصابة الحاكمة»
في برقيات ويكيليكس وكتاب جستن غينغلر

القائـم بأعـمال السـفارة الأمريكيـة في البحريـن، كريسـتوفر هنـزل، أرسـل مـن المنامـة برقيـة إلى الخارجيـة الأمريكيـة في 13 يناير/كانـون الثـاني 2009، صنّفـت سرّيـة، لكـنّ ويكيليكـس رفعـت الغطـاء عنهـا في 2010.

تناولـت البرقيـة بقلـق شـديد واحـدة مـن أهـم الخطـب السياسـية في تاريـخ عاشـوراء البحريـن. خطبـة أثـيرة بقيـت تداعياتهـا حتـى اليـوم، واهتـم بهـا كثـير مـن الباحثـين والأكاديميـين وعكفـوا عـلى تفكيـك بنيتهـا وتحليـل سـياقها السـياسي والاجتماعـي.

أكـثر مـا أثـار أحـد الباحثـين في الخطبـة، وهـو المحلـل السـياسي المختـص بشـئون البحريـن، جسـتن غينلغـر، أن الخطيـب لم يكـن رجـل ديـن. إنمـا حقوقـي، يقـضي الآن عقوبـة بالسـجن المؤبّـد، لـدوره في ثـورة 14 فبراير/شـباط 2011.

عبد الهادي الخواجة: خطيب عاشوراء المنامة 2009

إن تكـن خطبـة عبـد الهـادي الخواجـة ليلـة عاشـوراء في المنامـة 7 يناير/كانـون الثـاني 2009، تعـبّر عـن ذروة مشـاعر الإحبـاط والأسى والقهـر السـياسي، فهـي لا شـك كانـت أحـد أهـم أدوات التعبئـة والتحشـيد التـي اسـتخدمتها حركـة حـق بزعامـة الأسـتاذ حسـن مشـيمع، لاسـتنهاض الشـارع والتمهيـد (غـير المبرمـج) لثـورة 14 فبرايـر.

كانت شخصية الخواجة مثيرة للجدل منذ رجوعه للبلاد بداية ما عرف بالمشروع الإصلاحي (2001)، لم يكن حقوقيا رتيبا، فقد عرف بحس ثوري جريء لا يتعب من مواجهة الظلم والقهر والاستبداد، وأثبت التاريخ أنه لا يخشى أي تبعات.

صارت شخصية الخواجة الجماهيرية مثيرة للخوف أكثر من أي وقت مضى، منذ هذه الخطبة، التي استغل فيها حسّه الديني الرفيع، ليقوم في الناس خطيبا ليلة «عاشوراء». كان حديثا غاضبا صارخا عن قيمة التضحية في عاشوراء، والوقوف في وجه الظالم عند الإمام الحسين.

شاءت الصدف أن يكون الكاتب والباحث الأكاديمي جستن غينلغر، في البحرين، وقت موسم عاشوراء هذا. حضر غينغلر خطبة الخواجة بنفسه، وأفرد لها صفحات طويلة في فصل «الدين والسياسة في البحرين» ضمن رسالته للدكتوراه «صراع الجماعات والتعبئة السياسية في البحرين والخليج»*

قام غينغلر بترجمة الخطاب كاملا بما فيه القصيدة الحسينية التي ألقاها

الخواجة. سرد وقائع الخطبة بشكل موثّق، كما اهتم بتحليلها في إطار بحث تأثيرات الدين على السياسة، ليضعها في سياقها السياسي والاجتماعي والتاريخي.

خطبة الخواجة في كتاب جستن غينغلر

يدرك غينغلر بشكل حاذق إن منتصف ليل عاشوراء، في المنامة، هما أفضل وقت ومكان لأولئك الراغبين في الإدلاء بتصريح سياسي فاعل، خصوصا أن هذا الوقت يأتي بعد نهاية مجالس البكاء والنحيب على الإمام الحسين، كما أنّه أنسب وقت لخطاب مخيف وغاضب.

«منذ أواسط التّسعينيات، كان من المستغرب أن لا يُعتَقَل ناشط سياسي واحد على الأقل على خلفية خطاب حماسي مناهض للحكومة في ذروة عاشوراء وشهر مُحَرّم بأكمله».

يشير الكتاب أيضا إلى سرّية الخطيب الذي سيتولّى كلمة عاشوراء في زاوية حركة حق عند مسجد الخواجة في المنامة. وصل الخواجة الساعة 2:30 فجرا، وقدّر غينغلر عدد الحضور بألف شخص.

«لا يدّعي الخواجة امتلاك سلطة دينية، وشعبيته البارزة هي بشكل أساسي نتيجة لدوره الأساسي المعروف جيدًا مع مركز البحرين لحقوق الإنسان وأكثر من ذلك أيضًا، لتهجمه اللّفظي المستفز في العام 2004 على الأمير خليفة بن سلمان»

استنادًا إلى مخزونه السّياسي لا الدّيني، كان الخواجة بحسب غينغلر قادرا مع ذلك على أن يتحصّل على جمهور عام مثل هذا الذي اجتمع في تلك اللّيلة الباردة جدا للاستماع إلى كلامه.

العصابة الحاكمة

حمل خطاب الخواجة عنوان «تضحيات الحسين تفضح العصابة الحاكمة وتسقطها من الحكم»، وبدأ باستحضار استشهاد الحسين، وذكرى واقعة عاشوراء.

ثم ذهب لإسقاط قضية عاشوراء على الواقع الراهن «حين جاءت الأوامر من يزيد بن معاوية، إلى واليه على المدينة المنورة بأن يأخذ البيعة من الحسين أو يقطع رأسه، أعلن الحسين العصيان السياسي ورفض المبايعة، وهيّأ نفسه للتّضحية بنفسه وأهل بيته». وقال الخواجة «إنّ هذا التّحدي السّياسي لم يكن يستهدف شخص الحاكم الأموي يزيد، بل كان يستهدف النظام الأموي برمته. فهو حين خاطب جيش العدو ناداهم بالقول: يا شيعة آل سفيان.. ولم يقل يا شيعة يزيد» ووفقًا لذلك، ختم المُقَدمة بالقول إن «نتيجة تضحيات الحسين في واقعة كربلاء كانت سقوط نظام الحكم الأموي، حيث لم يُعمر هذا النظام أكثر من تسعين عامًا، كانت تموج بالثورات التي تمخضت عن حركة الحسين».

«في هذه المناسبة العظيمة»، توجه بندائه إلى «كل حر من أي طائفة أو مذهب، من أي طبقة اجتماعية، غنيًا كان أو فقيرًا»، وطالبهم جميعًا كما

طالب نفسه بـ «الوقوف صفًا واحدًا لطلب الإصلاح ونصرة الحق والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، تيمنًا بالحسين».

طالب الخواجة الناس «فك الارتباط النّفسي بنظام الحكم الظّالم، ورفض مبايعته وعدم الإقرار له بالحكم على رقاب النّاس، ما دام يغدر، ويخلف الوعود، ويستأثر بالفيء ويذلّ الناس، ويستعين بالمرتزقة من كل مكان، ليفرض نفسه على رقاب العباد».

من هم شيعة الحسين؟ ومن هم اليزيديون؟

المقطع الثّاني من الخطاب، الذي يحمل عنوان «الاصطفاف المذهبي والاصطفاف السياسي»، يُحذّر المستمعين من الافتراض بأنهم جزء من الحل، وأنّهم مشاركون في حركة الحسين، فقط لأنهم صادف أن يكونوا شيعة. وقال «اعلموا بأن الشيعة في حركة الحسين هم من وقف معه وناصره ضد الظلم السياسي والاجتماعي، وليس كل من انتمى إلى أهل البيت تاريخيًا أو فقهيًا أو نفسيًا»

يرى غينغلر إن الخواجة استخدم ذات محتوى كلمة الشيخ عيسى قاسم التي أثارت جدلا عن «معسكر الحسين ومعسكر يزيد». قال الخواجة إن « تمايز الناس في مجتمعنا اليوم إلى حسينيين ويزيديين، ليس على أساس المذهب الذي ورثوه من الآباء والأجداد... وإنما على أساس الموقف السياسي الاجتماعي المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتولي أهل الحق والخير، والتبرؤ من الظالمين وأهل المنكر».

ويضيف «يتمايز جميع هؤلاء وينكشف معدنهم عندما يستفحل الظلم وتنتهك الأعراض أو تسفك الدماء، فعندها إما أن يكون من شيعة الحسين بمواقفه وتضحياته، أو أن يكون من شيعة آل سفيان»

يرى الكاتب أن هذا التّصريح هو نظرية الخطاب بأكمله.

الدولة الأموية ودولة آل خليفة

انتقل عبد الهادي إلى الجزء الأطول والأكثر جوهرية في خطابه «العصابة الحاكمة وضرورة اقتلاعها من الحكم مهما كلف ذلك من جهد وتضحيات».

قياسا على السلالة الأموية الفاسدة، التي ينتقل فيها الحق بالحكم من من الأب إلى الابن، والتي نهبت الفيء والأراضي وجعلت مال الله (بعبارة أخرى الموارد الطبيعية) دولًا، واستعبدت الناس، سيساوي الخواجة كل هذا بـ «العصابة الحاكمة» الحالية أي آل خليفة الذين نهبوا البحرين والذين يدّعون الحكم على الأساس ذاته أي الخلافة الوراثية.

قال الخواجة إن كلا من الدولتين «لم تكن تقوم على شخص واحد وإنّما على عصابة... تسيطر على العباد بالقهر»، ولذلك «خرج ابن بنت رسول الله خائفًا من المدينة ثم من مكة لأنّه يرفض المبايعة السياسية ليزيد، ولا يجد ناصرًا ولا معينًا، ثم يُقتَل وتُسبى النساء من أهل بيت النبي». وختم بأن مثل هذه الدّولة «اختارت أن لا تقبل المهادنة والحلول الوسط، ولذلك لا ينفع فيها إلا الاقتلاع، فكانت تضحية الحسين بنفسه وعياله هي الوسيلة لاقتلاع تلك الدولة..».

ووصل أخيرًا إلى ما كان المستمعون ينتظرونه طيلة تلك اللّيلة، حسب وصف جستن غينغلر، فأعلن أنّ «العصابة الحاكمة في البحرين تتمثل في «مجلس الدفاع الأعلى» الذي يتكون من أربعة عشر شخصًا من كبار العائلة الحاكمة، وهم الملك وولي العهد ورئيس الوزراء ووزير الديوان وغيرهم من كبار الوزراء والمسؤولين من الأسرة الحاكمة». وأضاف أنّه ليس بينهم «أي من أبناء الوطن من السنة أو الشيعة، فهم لا يثقون بأحد سوى أنفسهم. ومنذ إنشاء هذا المجلس، تم فيه إقرار جميع المؤامرات التي دُبّرت ضد الشعب:

سرقة آل خليفة للأراضي وتوزيعها، تقرير البندر واستراتيجية التّطهير الطّائفي، استخدام عشرات آلاف المُرتَزَقة الذين ينتهكون حرمة بيوتنا ومساجدنا،.. واستخدام التّعذيب....

على هذا الأساس اتّجه الخواجة إلى أنّه «لا بد من أن يكون المطلب الرئيسي هو إسقاط هذه العصابة من الحكم بكل وسائل المقاومة المدنية السلمية، والاستعداد لبذل التضحية في سبيل ذلك، تماما كما كانت نتيجة تضحية الحسين إسقاط العصابة الأموية من نظام الحكم». وأضاف أنّه «نحن جيل الغضب والتضحية، ومن تضحيتنا سيأتي جيل يتحمل مسؤولية اختيار نظام الحكم الذي يناسبه، بعيدًا عن الظلم والفساد والتمييز الطائفي».

كفى بك ذلًا أن تعيش مرغما

أنهى الخواجة خطابه الطويل بأبيات من الشّعر. «حين طالب الحر بن يزيد الرياحي الحسين بأن يرجع من حيث أتى وإلا فإنه سيقتل، -تمامًا كما قد نُقتَل نحن، [المعارضون البحرينيون]، ردّ عليه الحسين قائلًا:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مذمومًا وخالف مجرما
أقدم نفسي لا أريد بقاءها
لتلقى خميسا في العراء عرمرما
فإن عشت لم ألم .. وإن متّ لم أذم
كفى بك ذلًا أن تعيش مرغما

حين قرأ البيت الثاني، قال الخواجة مجرم في القصر، في إشارة إلى الملك. أبيات الشعر التي قرأها الخواجة بصوت كل تأس ونعي، قوبلت بهتافات

«فلتسقط العصابة الحاكمة!» وبهتاف «الموت لآل خليفة!»، وإن كان بصوت أخف، حسبما يروي جستن غينغلر.

خطاب الخواجة هذا، على حد تعبير جستن، لم يبدُ بكل القياسات إلا نداء يدعو إلى إعداد العدّة في وجه أسرة آل خليفة الحاكمة، بذات الصورة التي جاءت فيها ثورة الحسين، التي أدت إلى تلك الأحداث في العام 680 للميلاد.

في إطار نقدي، يقول غينغلر، إنه تكمن وراء هذه الصّور الدّينية والكلام الرنّان، تعليمات أو وصفات سياسية أكثر قياسا. ويرى بأن التّضحيات التي يتكلم عنها الخواجة تتعارض مع النّبرة العامة للخطاب، المعتدلة والبراغماتية إلى حد بعيد.

ثم سيذهب للقول «يستطيع عبد الهادي الخواجة، بعد إمضائه حوالي عقدين تقريبًا بين المنفى والسّجن، الوقوف في شوارع المنامة والمطالبة بالإطاحة بآل خليفة «بكل وسائل المقاومة المدنية وبالرّغبة بتقديم التّضحيات من أجل ذلك..»، حين يكون مثل هذا الشخص جاهزًا للقيام بهذه الخطوة مع علمه بأن الاعتقال والأذى الجسدي ليسا بعيدين على الأرجح، عندها يكون من الواضح أن «القمع» كمفسّر للسّلوك السّياسي، يجب أن يقاس بمقابل قدرة الأفراد المجابهة على المعاناة وحتى تبني التّضحية من أجل قضية سياسية».

مقابلة غينلغر مع عبد الهادي الخواجة: في نظام ديمقراطي لن يستطيع آل خليفة البقاء في السلطة

التقى جستن غينغلر، بعبد الهادي الخواجة بعد حوالي أربعة أشهر، أي بعد الإفراج عنه بعفو ملكي، إثر اعتقاله بُعيد خطبة عاشوراء هذه.

خلال المقابلة، سيشّدد الخواجة بالفعل على هذه الحاجة لدى الشّيعة العاديين لتفادي الاستمالة السّياسية. قال الخواجة لغينغلر «في نظام ديمقراطي، لن يستطيع آل خليفة البقاء في السّلطة، وبالتّالي فإن هدفهم هو الحيلولة دون نشوء هكذا نظام».

مـن المثـير في هـذا السـياق، مـا ذكـره غينلغـر في هامـش الكتـاب عـن حادثـة الإفراج عـن الخواجـة و178 ناشـط آخـر ضمـن عفـو ملـكي في ذلـك الوقـت، إذ نقـل عـن أحـد النـواب السـنّة (وهـو عيـسى أبـو الفتـح) قولـه أنّ رئيـس الـوزراء شـخصيًّا عـارض هـذه الخطـوة، وكذلـك السـعودية، التـي زارهـا خليفـة في اليـوم نفسـه الذي سـبق إصـدار قـرارات العفـو. وقـال أيضـا إن الملـك السـعودي أبـدى عـن امتعاضـه المعلـوم في رسـالة إلى الملـك حمـد، ومـن ثـمّ أوقـف بشـكل مؤقّـت مـرور حـوالي 300 شـاحنة مقطـورة مُرسـلة إلى البحريـن عـلى الجانـب السـعودي مـن الجـسر!

برقية ويكيليكس عاجلة وسرّية

إذا كان كلام جسـتين غينغلـر عـن خطبـة الخواجـة سـيصدر في 2015 مـن منظـور بحثـي وأكاديمـي، فـإن ثمـة منظـور سـياسي غـربي سـيتوقف عنـد خطبـة الخواجـة ويراهـا بعـين الأهميـة بحيـث يصـدر خـلال أسـبوع تقريـرا سياسـيا عنهـا برسـم الخارجيـة الأمريكيـة، ذلـك كان موقـف السـفارة الأمريكيـة في البحريـن، والتـي أثبتـت برقيـات ويكيليكـس أنّهـا تتابـع عاشـوراء البحريـن بكثافـة، وتصـدر تقريـرا سـنويا عنـه، باعتبـاره موسـما حـج سـياسي بدرجـة مـا هـو دينـي.

في برقيتـه، قـال القائـم بأعـمال السـفارة الأمريكيـة في البحريـن آنئـذ، كريسـتوفر هنـزل، إن الناشـط عبـد الهادي الخواجة دعا إلى الإطاحة بـأسرة آل خليفة الحاكمة.

وفي فقـرة تحـت عنـوان عصابـة الأسرة الحاكمـة»، قـال التقريـر إن حركـة حـق الشـيعية المتطرّفـة اسـتغلت المواكـب الكبـيرة السـنوية في عاشـوراء في 6 ينايـر/ كانـون الثـاني في المدينـة القديمـة في المنامـة للتّنديـد بـأسرة آل خليفـة الحاكمـة. ومـع مـرور مواكـب عاشـوراء في الطرقـات الضيقـة والمزدحمـة، وُجِّهـت الخطابات مـن خـلال مكـبرات الصـوت إلى مزيـج كبـير يضـم آلاف الأنصـار.

«زعيـم حركـة حق حسـن المشـيمع نـدد بـ «عصابـة الـ 16» التي تحكـم البحرين، وسـمى الملـك وولي العهـد ورئيـس الـوزراء وآخريـن مـن آل خليفـة. المشـيمع،

الـذي لم يـدعُ علنًـا للإطاحـة بالحكومـة، قـال إنـه عـلى المعارضـين أن يطلبـوا مـن الحكومـات الأجنبيـة والمنظـمات الدوليـة غـير الحكوميـة الدعـم»

أطيحوا بالعصابة الحاكمة

«عبـد الهـادي الخواجـة.. تحـدث أيضًـا في جنـاح حـق، وأفـادت وسـائل الإعـلام أن الخواجـة وصـف الحكومـة «بالعصابـة الفاسـدة والمسـتبدة» وقـال إن «مطلبنـا الأول هـو الإطاحـة بهـم والتخلـص منهـم... علينـا اقتـلاع جـذوره هـذه العصابـة».

وذكـرت البرقيـة أجـزاء مـن خطـاب الخواجـة «أشـار الخواجـة إلى معركـة الإمـام الحسـين ضـد الخليفـة الأمـوي يزيـد في نـداء مسـتتر بالـكاد موجـه إلى شـيعة البحريـن للوقـوف في وجـه الحكومـة السـنية. وأنهـى خطابـه بتهديـد: «لقـد فقـدوا أي فرصـة بالسـلام».

تعليق السفارة: لماذا خطبة الخواجة؟

ذيّلـت السـفارة برقيّتهـا بتعليـق، أشـارت فيـه إلى أن حركـة حـق تؤثـر عـلى الشـباب الذيـن يشـتبكون غالبـا مـع قـوات مكافحـة الشـغب البحرينيـة، ويبـدو أنهـا تتجـه نحـو نـزاع مـع الحكومـة.

وقالـت «قـد يكـون خطـاب الخواجـة في 6 يناير/كانـون الثـاني قـد أُعِـد لاسـتفزاز للسّـلطات لتتحـرك ضـده، وهـو تطـور سـيزيد مـن نسـبة التّعاطـف مـع حركـة حـق في المجتمـع الشـيعي. الحكومـة قاومـت حتـى الآن (13 ينايـر) ضرورة احتجـازه».

ختمـت البرقيـة بالقـول «جمعيـة الوفـاق المعتدلـة تظـل أكـثر شـعبية مـن حركـة حـق في المجتمـع الشـيعي. وبهـدف الحفـاظ عـلى مركزهـا، تحتـاج الوفـاق إلى إقنـاع الحكومـة البحرينيـة بتقديـم خدمـات الإسـكان والتوظيـف وإجـراءات ضـد التمييـز، هـي مـا يطالـب بـه الشـارع الشـيعي»

06

ويكيليكس السفارة الأمريكية:
قصّة المبعوث الإيراني إلى المنامة
وخطاب الشيخ عيسى قاسم في عاشوراء 2009

في موسم عاشوراء الأول عام 2009* (يناير/كانون الثاني 2009)، أرسلت السفارة الأمريكية في المنامة إلى الخارجية برقيتين، إحداهما عن خطبة الخواجة، والأخرى عن خطاب عاشوراء المركزي للزعيم الديني الأعلى، آية الله الشيخ عيسى قاسم.

انظر: خطبة الخواجة في عاشوراء 2009: «العصابة الحاكمة» في برقيات ويكيليكس وكتاب جستن غينغلر «5»

ولأن أحد أهم محدّدات المزاج السياسي الشيعي هو خطاب عاشوراء، ظلّلت السفارة الأمريكية على ذات النسق من متابعة إحياء الذكرى، وخطابها المركزي على وجه الخصوص.

وفي حين أفردت السفارة برقية منفصلة لخطبة الناشط عبد الهادي الخواجة بالمنامة، جاءت البرقية الأولى عن خطاب عاشوراء المركزي، للشيخ عيسى قاسم، والذي احتوى هجوما على حكومة البحرين بسبب علاقاتها مع الولايات المتحدة، وهجوما على السياسة الأمريكية بسبب موقفها من الحرب على غزّة (2008-2009).

تداعيات هذا الخطاب كانت مثيرة للجدل، إذ انتهت ببرقيات أمريكية أخرى

ذات صلة، تتحدّث بريبة عن مبعوث إيراني للبحرين بعد دعوة الملك إلى عقد قمّة طارئة عن حرب غزّة.

لقد كانت السفارة الأمريكية في المنامة قلقة من تعاون بحريني إيراني، ما اضطر الخارجية البحرينية لأن تجاهد في نفي هذا الاتهام، وتبرئة الملك من أي تنسيق مع إيران!

برقية: رجل الدين الأعلى يضرب في العلاقات البحرينية الأمريكية بسبب حرب غزة ومظالم الشيعة

برقية السفارة الأمريكية عن عاشوراء في 8 يناير/كانون الثاني 2009، والموقعة من القائم بأعمال السفارة ، كريستوفر هنزل، كان موضوعها الرئيس خطاب الشيخ عيسى قاسم في عاشوراء. حذّرت البرقية مما ورد فيه من «هجوم» على السياسة الأمريكية، وسياسة الحكومة البحرينية في علاقتها مع واشنطن.

تعكس البرقية كيف كانت الدبلوماسية الأمريكية تنظر بقلق إلى خطب الشيخ

عيسى قاسم، من زاوية دورها كمصدر رئيس للتحفيز والتحشيد السياسي في البحرين، سواء على صعيد القضايا المحلية أو الدولية.

تذكر البرقية إن رجل الدين الشيعي الأعلى قال ضمنيا إن حكومة البحرين باعت نفسها على الولايات المتحدة الأمريكية، مشيرة إلى أن مسؤولا رسميا عبّر عن خوفه من ردود فعل شعبية على ما يحدث في غزّة عقب هذه الخطبة، وطالب الولايات المتحدة بالضغط على إسرائيل لحماية المدنيين بشكل أفضل.

وتحت فقرة بعنوان «رجل الدين الأعلى يضرب في العلاقات البحرينية الأمريكية»، قالت البرقية إن الشيخ عيسى قاسم، أشهر رجل دين شيعي في البحرين، قال في خطبة السابع من يناير/كانون الثاني 2009، إن صمت أغلب الحكومات العربية عن غزة يعد اشتراكا مع إسرائيل وأمريكا، وإن بعض الحكومات العربية باعت نفسها بقبولها الحماية الأمريكية في مقابل الصمت.

البرقية أشارت إلى أن الخطبة غطّيت في الصحف المحلية ومواقع الإنترنت، واعتبرت على نطاق واسع بأنها اجتازت خطا أحمر بانتقادها العلاقات الأمنية بين البحرين والولايات المتحدة.

غزّة، كربلاء، ومظالم البحرينيين الشيعة

وفي تفسير غريب، قالت السفارة إن «هجوم قاسم عكس غضبا صادقا في ردة فعل على أحداث غزّة، ولكنه قصد أيضا وضع ضغط على حكومة البحرين لمعالجة مظالم البحرينيين الشيعة».

وعن إحياء الذكرى، قالت البرقية إن مواكب عاشوراء الكبيرة كانت محافظة على النظام، لكنّ عدة خطب تخلّلتها لقادة متشددين شيعة، ساوت بين معاناة أهل غزّة وقصة المعاناة الشيعية (قصّة كربلاء)، وانتقدت الحكومة البحرينية على قضايا محلية.

كـما كان هنـاك عـدة مظاهـرات صغـيرة غـير مرخّصـة في وقـت متأخـر مـن 8 يناير/كانـون الثـاني، في مناطـق تسـكنها غالبيـة شـيعية، في حـين انطلقـت دعـوات سـنية وشـيعية للتظاهـر يـوم الجمعـة احتجاجـا عـلى مـا يجـري في غـزّة.

وكانـت برقيـة سـابقة قـد توقّعـت أن تكـون هنـاك فرصـة لتصاعـد التظاهـرات المناوئـة لإسرائيـل والغـرب خـلال موسـم عاشـوراء، مشـيرة إلى أن تظاهـرات السـنّة كانـت منفصلـة عـن الشـيعة.

وكانـت لجنـة تابعـة للسـفارة تحـت مسـمى لجنـة أعـمال الطـوارئ، قـد عقـدت اجتماعـا لبحـث تأثـير ردود الفعـل المحلّيـة هـذه عـلى الأمـن.

عبدالعزيـز آل خليفـة للسـفارة: قـادة البـلاد يخشـون مـن ردة فعـل الشـارع

وفي سـلوك يبـدو روتينيـا، تبـادل المسـئولون الحكوميـون الاتصـالات مـع السـفارة الأمريكيـة لمناقشـة التطـورات. ونقلـت البرقيـة أن وكيـل الخارجيـة البحرينيـة عبدالعزيـز بـن مبـارك آل خليفـة، أبلـغ القائـم بأعـمال السـفارة الأمريكيـة أن الحكومـة البحرينيـة مصدومـة مـن درجـة معانـاة المدنيـين في غـزة. وقـال إن قادة البحريـن يخشـون مـن ردة فعـل الشـارع هنـا.

وقـال المسـئول البحرينـي إنّـه بسـبب ذلـك، عقـد الملـك حمـد في وقـت لاحـق مـن ذلـك اليـوم اجتماعـا غـير عـادي لمجلـس الـوزراء، مـن أجـل إظهـار معارضـة البحريـن للأفعـال الإسرائيليـة في غـزة بشـكل أكـبر، حسـب قولـه.

وفي رد فعـل رسـمي يبـدو محاكيـا أو مسـايرا لغضـب الشـارع و(لمـا أثارتـه خطبـة الشـيخ عيـسى قاسـم)، طلـب وكيـل الخارجيـة البحرينيـة مـن القائـم بأعـمال السـفارة الأمريكيـة، أن تقـوم الحكومـة الأمريكيـة بحـث إسرائيـل عـلى ممارسـة ضبـط النفـس، الطلـب الـذي وعـد الدبلومـاسي الأمريـكي بنقلـه إلى واشـنطن!

ولكن عبد العزيز آل خليفة شدّد في المقابل على أن البحرين تدعم بالكامل طريقة مصر في التعامل مع غزّة، وتقف خلفها!

الملك يدعو إلى قمّة طارئة والسفارة الأمريكية: محاولة للتقليل من الغضب الشعبي على الحكومة

السفارة الأمريكية كانت تتابع عن كثب مواقف حكومة البحرين مما يجري في الأراضي المحتلّة، وفي برقية سابقة وصفت هذه المواقف بأن الحكومة البحرينية تدين إسرائيل بأشد الألفاظ علنا، لكنها أكثر حذرا وبراغماتية في نقاشاتها الخاصة مع الدبلوماسيين، وكانت تأمل أن تنجح الجهود الدبلوماسية في تقليل التعاطف مع حركة حماس، وتقليل الضرر الواقع على الحكومات العربية المعتدلة التي تقف مع شارعها.

ونقلت في برقية أخرى أن الشارع والصحف استقبلت بشكل جيد مبادرات الحكومة للتبرع وتقديم المساعدات والدعم للشعب الفلسطيني، وعرضها

تقديم علاج مجاني للجرحى داخل البلاد، ونقلت أن حشودا من المتظاهرين أشادوا بالملك بينما أدانوا إسرائيل والولايات المتحدة ومصر.

في 9 يناير/كانون الثاني 2009، أصدر الملك حمد بيانا دعا فيه إلى عقد قمة عربية إسلامية لمعالجة الأوضاع في غزّة، إن لم يكن ممكنا عقد قمة عربية. برقية أخرى من السفارة الأمريكية أشارت إلى هذا البيان، ووصفته بأنه محاولة للتقليل من الغضب الشعبي، وخصوصا في أوساط الغالبية الشيعية.

مبعوث إيراني

في 11 يناير/كانون الثاني 2009، برقية من السفارة تصل الخارجية الأمريكية لتنقل توضيحات من الخارجية البحرينية حول زيارة مبعوث إيراني إلى البلاد، عقب دعوة الملك إلى عقد قمة إسلامية طارئة عن غزّة.

تنقل البرقية أن المسئولين (سعيد الفيحاني وعبد العزيز آل خليفة) نفيا أن البحرين تنسّق مع إيران في هذا الخصوص، وأن الزيارة المنتظرة للمبعوث الإيراني ليست ذات صلة.

وتضيف أنهما وصفا مبادرة الملك بأنها لفتة من جانب واحد للتعبير عن قلق البحرين مما يجري في غزة، ولتهدئة الرأي العام المحلي.

تقول البرقية إن كلا المسئولين «زعما» أن البحرين لم تنسّق مع أي حكومة أخرى ولا مع منظمة التعاون الإسلامي، قبل بيان الملك، في حين أعاد عبد العزيز آل خليفة التأكيد على أن الإيرانيين لم يبلّغوا مقدّما بفكرة القمّة التي جاء بها الملك. فضلا عن ذلك، قال المسئولان إنهما يظنان أن مقترح القمة الإسلامية لن يلاقي الكثير من الدعم.

وإلحاقا بهذه المعلومات، تنقل البرقية الأمريكية أن السفارة الإيرانية في المنامة أعلنت أن مبعوثا من طهران سيزور البحرين والإمارات لتسليم رسائل حول

غـزة إلى قـادة البلديـن، وإزاء سـؤال حـول مـا إذا كانـت هـذه الرسـائل ردا عـلى دعـوة الملـك حمـد إلى قمـة إسـلامية، قـال المتحـدث باسـم السـفارة أن إيـران دائمـا تدعـم مثـل هـذه القمـم.

في ختـام البرقيـة، تعلـق السـفارة الأمريكيـة بقولهـا إن «الحكومـة البحرينيـة ربمـا هدفـت مـن مقـترح القمـة الإسـلامية أن تهـدئ الـرأي العـام المحـلي، لكنهـا قـد تكـون فتحـت مـن غـير قصـد بابـا لإيـران».

07

آخر برقيات ويكيليكس..
السفارة الأمريكية عن خطاب مشيمع في عاشوراء 2009:
كان أكثر انضباطا وعبّر بوضوح عن احترام الملك

في برقية سرّبتها ويكيليكس، تعود إلى أكتوبر/تشرين الأول 2009، عن تأسيس «تيار الوفاء الإسلامي»، بزعامة الناشط المعتقل عبد الوهاب حسين، تقول السفارة الأمريكية في المنامة إن احتفالات عاشوراء التي تشهد احتشاد عشرات الآلاف من الشيعة بشكل مركزي في العاصمة المنامة، من أجل المواكب الدينية، قد تزوّدنا برؤية وتقدير لقوّة تيّار الوفاء، الذي قد يستخدم المناسبة الدينية ليثبت أنه الصوت الجديد للمجموعات الشيعية المهمشة، مثلما فعلت حركة حق في السنوات الماضية حين حاولت بشيء من النجاح تحويل المناسبة إلى حدث سياسي، حسب تعبير السفارة.

آخر تقرير عاشورائي عن البحرين من السفارة الأمريكية، تمكنت ويكيليكس من تسريبه، هو ما جاء في البرقية رقم (09MANAMA741_a)، عن موسم عاشوراء الثاني في 2009 (ديسمبر/كانون الأول). لم يظهر «تيار الوفاء» في عاشوراء كما توقعت السفارة، بل كانت حركة حق هي من ظل يظهر مصرا على البعد السياسي للمناسبة، وعلى صنع موقف سياسي مغاير لجمعية الوفاق، التيار الشيعي الرئيس في البحرين.

لكن خطاب حركة حق السياسي في عاشوراء هذه كان مختلف اللهجة. خفّف زعيم الحركة حسن مشيمع حدّته هذه المرة، بعد أن أثار في الذكرى

السابقة اعتقالات وأزمة سياسية. حتى السفارة الأمريكية وجدت التغيّر في خطاب مشيمع، لافتا.

هل شهد عاشوراء 2009 تحولا ممكنا في الخطاب السياسي لحركة حق، هل أثبت أنه ليس خطابا متصلّبا ويمكن أن يكون خطابا تفاوضيا مرنا ومتغيّرا، هل أعطى أملا في أن تسلك الحركات السياسية المقاطعة للنظام خيارات أخرى غير الثورة التي هدّدت بها في الذكرى السابقة؟

لم تر السفارة الأمريكية ذلك، إلا أنّها لفتت إلى أن مشيمع أبدى بوضوح احتراما للملك، ولم يسمّ رئيس الوزراء على قائمة زعماء الفساد في الحكومة، على خلاف خطاب العصابة الحاكمة!

برقية ديسمبر 2009: كثرة من العمانيين ونساء أقل من الرجال

أرسل التقرير المصنف بأنه وثيقة سرّية، إلى الخارجية الأمريكية، في 29 ديسمبر/كانون الأول، موقعا من السفير آدم إيرلي.

في الملخص، أشارت السفارة إلى أن قادة المجتمع (تأسيسا على التقاليد)، أكّدوا على أن تتراجع السياسة في المناسبة، مفسحة المجال للطقوس الدينية.

وتحت عنوان «الشيعة يحيون ذكرى عاشوراء سلميا» قدّرت الفقرة الأولى من التقرير الحشود المشاركة في مواكب المنامة (27-28 ديسمبر/ كانون الأول 2009) من 80-120 ألف شخص. أشارت البرقية أيضا إلى مشاركة عدد من مواطني السعودية والكويت والإمارات وعمان وجنوب آسيا، لافتة بشكل خاص إلى أن أعداد العمانيين الشيعة المشاركين كانت أكبر من المعتاد خلال ذلك العام.

وحتى ذلك الوقت، وثق التقرير بأن الحضور الأمني الرسمي كان محدودا بشرطة المرور، وأن حي المخارقة الذي تخرج فيه المواكب الرئيسية خلا من أي حضور أمني.

وضمن ملاحظات طاقم السفارة، قالت البرقية إن أعداد الرجال فاقت بشكل كبير أعداد النساء في الشوارع «الناس الحاضرات لبسن العباءات السوداء، ووشاح الرأس، والكثير اتخذن لباسا على طراز التشادور (الإيراني)، كما تقوقع العديد منهن في مساحات مخصصة، على طول مسار المواكب الرجالية، أو في شرفات بعض البيوت. مع ذلك شاهد موظفو السفارة مجموعات من النساء الأصغر،الواثقات من أنفسهن، يتحركن وسط الحشود».

حشود أكبر ودم أقل

لفتت السفارة إلى أن الموسم تميز بحشود أكبر ودم أقل، في إشارة إلى تراجع طقوس ضرب القامة بالسيوف «التطبير». وقالت إن موظفيها

ومصادر أخرى أكدوا أن الشوارع بدت أكثر ازدحاما من الأعوام الماضية، وأن المواكب كانت منفعلة لكنّها منظمة.

«أغلب المعزّين الذين كانوا يهتفون ضربوا صدورهم بقبضاتهم بخفّة... وشاهد موظفو السفارة فقط القليل من المعزين الذين أسالوا دماءهم خلال أكثر من 3 ساعات من سير المواكب، وهو تغير ملحوظ عن السنوات الماضية».

البرقية وضعت ملاحظة جانبية على هذه الفقرة قالت إن «القادة الدينيين الشيعة كانوا يثنون الناس على نحو متزايد عن ممارسة التطبير... وشجّعوا عوضا عن ذلك على المشاركة في حملات التبرع بالدم في ذكرى عاشوراء».

صور خامنئي وخطاب نصر الله

وعودا على قصة اللافتات المحتفية برجال الدين في حزب الله وإيران، أشارت البرقية إلى أن ذلك كان شائعا في مواسم عاشوراء، ولكن منذ 2006، حين قررت جمعية الوفاق المشاركة في الانتخابات، صارت هذه اللافتات أقل بروزا.

ونقلت البرقية أنه كان هناك القليل من صور آية الله خامنئي والإمام الخميني داخل خيم تديرها مآتم. كما أشارت إلى أن خيمة الوفاق بثت خطاب زعيم حزب الله السيد حسن نصر الله بمناسبة ذكرى عاشوراء.

حركة حق: خطاب أكثر انضباطا وتحذير من حرب أهلية

حول حركة حق، ذكر التقرير أنه بالرغم من أن هناك إجماع وسط التيار الشيعي الرئيس بأن مواكب عاشوراء في العاصمة المنامة يجب أن تبقى غير مسيّسة «نصبت حركة حق الشيعية المتشدّدة منصّة في

كل مواسم عاشوراء الماضية القليلة، مقابل مسجد الخواجة، الذي يمثل نقطة مركزية في احتفالات عاشوراء».

وقالت التقرير، إن حشدا صغيرا من حوالي 300 تجمّعوا هناك بعد منتصف الليلة، للاستماع إلى خطاب زعيم حركة حق حسن مشيمع. الكثيرون منهم كان يملأهم الفضول في أن يروا ما إذا كانت حق ستكرر خطابها في الذكرى السابقة (يناير/كانون الثاني 2009)، حين وصم مشيمع الملك بأنه رجل عصابات، ونادى أعضاء آخرون في حق بالثورة.

لكن السفارة قالت إن مشيمع بدا خلال هذا الحدث أكثر انضباطا، باستثناء أنه حذّر من من أن يؤدي التجنيس السياسي في نهاية المطاف إلى حرب أهلية، وقالت السفارة إنها تظن أن أغلب السنّة سيتلقّى هذه الكلمة كتهديد أكثر من أن تكون تحذيرا.

البرقية ذكرت أن مشيمع عبّر في خطابه بوضوح عن احترامه للملك حمد، مستنكرا الفساد الحكومي بمفردات عامة فقط. وقالت إنه في هذا السياق لم يسمّ كما في السابق رئيس الوزراء، الذي يعتبر هدفا معتادا لمثل هذه الاتهامات.

وفي ملاحظة ختامية، قالت البرقية، إن حق ربما تكون ملهمة لبعض الشيعة بخطابها المتشدد في عاشوراء، لكننا نظن أنها تنفّر عنها أناسا أكثر يرون أنها تستغل عاشوراء للسياسة «أغلب البحرينيين الشيعة يثمّنون تفاهما مع الحكومة يمكّنهم من إحياء عاشوراء بشكل أوسع من أي مجتمع شيعي آخر في دول مجلس التعاون... شهدت السنوات الأخيرة، بما فيها هذه السنة، أسابيع من التخطيط والتعاون بين الحكومة والقادة الدينيين الشيعة

في التحضـير لعاشـوراء. وهكـذا أنتـج هـذا التعـاون احتفـالا دينيـا جماهيريـا سـلميا للشـيعة مـن كل أنحـاء المنطقـة».

08

موسم الحزن الشيعي...

لماذا تراقب السفارة الأمريكية عاشوراء البحرين؟

يمتد موسم الحزن الشيعي، لشهرين، بدءا من عاشوراء، مرورا بمراسم الأربعين، وانتهاء بذكرى وفاة النبي محمد (ص). وعلى مدار 7 حلقات، استعرضت مرآة البحرين في قراءة بحثية برقيات السفارة الأمريكية في المنامة عن احتفالات عاشوراء في البحرين، والتي سرّبتها ويكيليكس عام 2010.

يبقى السؤال الأكثر إلحاحا، لماذا تهتم الدبلوماسية الأمريكية بعاشوراء البحرين؟

عاشوراء السياسية: من الإمام الخميني إلى القطيف والنجف والنبطية

في يونيو/حزيران 1963، خلال موسم عاشوراء، قُتل آلاف الإيرانيين بعد خروجهم في تظاهرات مناوئة للشاه، استجابة لخطاب في ذكرى عاشوراء ألقاه مرجع ديني شيعي، أصبح لاحقا مؤسس الجمهورية الإسلامية.

لم تنجح الثورة التي قادها روح الله الخميني في إيران، إلا باستخدام عاشوراء مجددا. شهدت الذكرى في أغسطس/آب 1978 مجدّدا أضخم تظاهرات الثورة، وما وصف بالمواجهة النهائية والتحدّي الأخير الذي أخرج البلاد عن السيطرة، وأطاح بنظام الشاه بعد ذلك بأشهر.

مواكب عاشوراء في المنامة، مقابل المستشفى الأمريكي، أرشيف الإرسالية الأمريكية

كلمات الإمام الخميني عن عاشوراء أصبحت جزءا من التراث الشيعي «كل ما لدينا من عاشوراء» و«عاشوراء... انتصار الدم على السيف».

تزامنا مع الثورة الإيرانية، شهد نوفمبر/تشرين الثاني 1979 ما عرف بـ«انتفاضة محرّم»، في القطيف والأحساء. أصر السعوديون الشيعة على إحياء شعائر عاشوراء علنا، وخرج الجماهير إلى الشارع، بهتافات سياسية مناوئة للتمييز والاضطهاد المذهبي. أخمدت الانتفاضة بمحاصرة القطيف، بعد أن دارت صدامات عنيفة بين المواطنين الشيعة والحرس الوطني السعودي، راح ضحيتها حوالي 20 قتيلا، وعشرات الجرحى والمعتقلين.

تظاهرات في عاشوراء 1979، صفوى، السعودية

وشهد العراق عام 1977 ما عرف بـ«انتفاضة صفر»، التي قاومت منع السلطات مسيرات المشي من النجف إلى كربلاء في ذكرى «الأربعين»، وانتهت نهاية دامية. تعتبر هذه التظاهرات من أبرز الحركات المناوئة لحزب البعث، وقد دعمها المرجع الديني الراحل محمد باقر الصدر.

تظاهرات في عاشوراء 1979، صفوى، السعودية

لبنانيون في النبطية يحرقون آلية عسكرية إسرائيلية خلال إحياء ذكرى عاشوراء 1983

وفي لبنان 1983، شهدت النبطية مواجهات تاريخية بين الشيعة والجيش الإسرائيلي، خلال إحياء ذكرى عاشوراء، أحرق فيها المتظاهرون آليات عسكرية إسرائيلية، وهاجموا عناصر الاحتلال بالسيوف.

لبنانيون في النبطية يحرقون آلية عسكرية إسرائيلية خلال إحياء ذكرى عاشوراء 1983

ضريبة عاشوراء في البحرين: هيئة الاتحاد الوطني

البحرين، هي الدولة الخليجية الوحيدة التي تعتبر فيها ذكرى عاشوراء عطلة رسمية. أحياء السوق القديم في العاصمة المنامة، هي الموقع المركزي التاريخي لفعاليات عاشوراء، عشرات الألوف يحضرون إلى عاشوراء المنامة حتى من الدول المجاورة، ولذا تسمّى بـ«كربلاء الخليج».

لطالما اعتبرت البحرين مثالا متقدّما على الحرّيات الدينية للشيعة، لكن تاريخ اكتساب هذه الحريات، ووظيفتها السياسية، هو ما يثير الجدل. فقبل الإصلاحات الإدارية، ينقل المؤرّخون أن الحاكم كان يفرض ضريبة على

الشيعة لإحياء عاشوراء، بحسب ما يروي العالم اللبناني فؤاد خوري، في كتابه القبيلة والدولة.

وحتى قبل الثورة الإيرانية بعشرات السنوات، تحوّلت عاشوراء في البحرين تلقائيا إلى منبر سياسي ضد العائلة الحاكمة، وراعيها البريطاني، مع تراكم الظلم على الغالبية الشيعية. صارت البلاد دائما في حالة ترقّب، وباتت المنامة وطقوسها، مبعث رهبة.

في الخمسينات، ورغم أن عاشوراء كانت سببا في اصطدامات وفتنة طائفية، إلا أنّها تحوّلت إلى سبب في نشوء أول كيان سياسي جمع بين الطائفتين. ورمزيا، عقد الاجتماع الأوّل لهيئة الاتحاد الوطني، في حسينية (مأتم) بن خميس. وهكذا صار هناك شبه إجماع بين السنّة والشيعة في ذلك الوقت، على أن تستغل عاشوراء سياسيا للنضال من أجل الحقوق والحريات، وكانت المفاجأة حين وقف شاعر ينتمي لأحد أهم القبائل السنّية (عبد الرحمن المعاودة)، خلال أحد اجتماعات هيئة الاتحاد الوطني، ينعى الحسين في ذكرى الأربعين، ويستنهض الهمم لمواجهة الظلم والاستعمار تأسّيا بالحسين!

كان ذلك نجاحا تاريخيا لعاشوراء البحرين. لم يستطع البحرينيون السنّة، المناهضون للاستعمار، مقاومة إغراء عاشوراء. هم كذلك لم يجدوا أفضل من منبر عاشوراء لتحقيق أغراضهم السياسية المناوئة للتسلّط البريطاني، بما تبعثه عاشوراء من هياج وحماس وإثارة وتحشيد، سجّلها المستشار البريطاني السابق بلجريف بإعجاب في مذكّراته، وتابعتها المراسلات الدبلوماسية البريطانية.

انتفاضة التسعينات: المعارضة في قصيدة وقميص أسود

«منذ أواسط التّسعينيات، كان من المستغرب أن لا يُعتَقَل ناشط سياسي واحد على الأقل على خلفية خطاب حماسي مناهض للحكومة في ذروة عاشوراء

وشـهر مُحَـرّم بأكملـه»، يقـول جسـتن غينغلـر، في كتابـه «صراع الجماعـات والتعبئـة السياسـية في البحريـن ودول الخليـج».

خـلال انتفاضـة التسـعينات، اعتقلـت السـلطات خطيـب المنـبر الحسـيني الشـيخ عـلي النجـاس، ورغـم أنـه رجـل لا يبـصر، إلا أن أجهـزة الأمـن السرّيـة قامـت بتعذيبـه حتّـى المـوت. كان السـبب بالطبـع، تجـرؤه المتكـرّر عـلى العائلـة الحاكمـة مـن عـلى منـبر الحسـين.

تميّـزت انتفاضـة التسـعينات في البحريـن باسـتغلال كثيـف لعاشـوراء وأدواتهـا: منابـر المآتـم، والمواكـب العزائيـة، في بـث الخطابـات السياسـية المعارضـة، والتحشـيد ضـد النظـام الحاكـم. زعيـم الحركـة آنئـذ، الشـيخ عبـد الأمـير الجمـري، كان هـو الآخـر خطيـب منـبر مفـوّه. إحـدى رسـائل الجمـري وثّقـت الـدور المهـم والممنهـج لأدوات المنـبر الحسـيني، قـال في الرسـالة آسـفا إن السـلطات اعتقلـت أغلـب منشـدي العـزاء «الروادیـد»، كان هـؤلاء بمثابـة «تويـتر» اليـوم: المحـرّك الإعلامـي الوحيـد للمعارضـة.

وطوال تاريخ البحرين الحديث والمعاصر كان أي «رادود» يطرح محتوى سياسي يتعرّض هو موكبه لملاحقة الأمن، ولذلك ظهر ما عرف بـ«موكب الشهيد» السرّي، الذي لا ينتمي لأي مؤسسة حسينية، ولا يعرف القائمون عليه، ولا يعلن لا عن مكان ولا زمان انطلاقه، وفيه تطلق الشعارات السياسية على أوجها.

في التسعينات لم تكتف قوات الأمن باقتحام المآتم والتعدي على مواكب العزاء لمجرد هتافات سياسية مناوئة للنظام، بل استهدفت كل من يلبس القميص الأسود، من طلاب الجامعة على سبيل المثال.

بعد 2001: السياسة من رحم عاشوراء

«بالنّسبة لمراقب خارجي لإحياء ذكرى عاشوراء سنويًا، من الصّعب معرفة ما إذا كانت المواكب التي لا تُعد ولا تحصى والمسرحيات المشحونة بالعاطفة والخطب، تروي المعركة مع الخليفة الأموي في العام 680م، أو تروي الصّراع الحالي ضد سلالة آل خليفة» يستمر غينغلر في وصف مشاهداته لعاشوراء 2009، التي حضرها في البحرين.

موسم عاشوراء البحرين، الذي لا ينتهي يوم العاشر من المحرم، بل يمتد طيلة شهري محرّم وصفر، ظل يشتغل سياسيا حتى بعد الانفراجات السياسية وما عرف بالمشروع الإصلاحي، الذي دشّنه الملك حمد بن عيسى، عام 2001.

سنشهد مجدّدا عودة «الروايد» والخطباء إلى توظيف المنبر والقصيدة الحسينية في خطابات سياسية مثيرة، عن الشأن المحلي والدولي. سنرى نقدا أدبيا لاذعا لا يتوقّف للحكومة والوضع السياسي والقوانين الجديدة، كما سنرى تحشيدا عاطفيا للاصطفاف وراء الزعامات العليا، وكذلك حضورا مباشرا لقضايا الأمة الكبرى وقتئذ: فلسطين والعراق.

هكذا، ومع مساحة علنية أكبر لممارسة الشعائر الدينية، ستبرز في هذه

المرحلة الصلاة المركزية وخطاب عاشوراء للشيخ عيسى قاسم في المنامة. كما ستخرج أيضا من رحم عاشوراء، الخطابات الأكثر تشدّدا من جماعات المعارضة المنشقّة عن جمعية الوفاق، بعد قبول الأخيرة الدخول في البرلمان.

في عاشوراء، ستنصب حركة حق، المنشقة عن الوفاق، والتي يتزّعمها الناشط المعتقل حسن مشيمع، ركنا ومنصة في وسط المنامة، وفي المنامة أيضا ستنصب خيمة للجنة الشهداء وضحايا التعذيب. كانت عاشوراء بالنسبة لكلا الجهتين أهم منبر للتحشيد السياسي وكسب الأنصار والتعاطف.

وفضلا عن ذلك، صارت الجمعيات السياسية اليسارية (تضم خليطا من علمانيين سنّة وشيعة) تصدر بيانات سنوية بمناسبة عاشوراء. وهذه البيانات، بحسب الدكتور عبد الرحمن خليفة «كانت تزين الصفحة الرئيسية من نشرة الجماهير»، التي تصدرها جبهة التحرير الوطني البحرانية، وهي المنظّمة التي أسّسها اليساريون أنفسهم في الخمسينات.

مـن هنـا، سـتثير عاشـوراء جـدلا في كل عـام، وسـتكون دائمـا محـل ترقّـب، ليـس فقـط مـن أجهـزة الدولـة، بـل مـن السـفارة الأمريكيـة أيضـا.

ويكيليكس عاشوراء: السفارة الأمريكية في مهمّة عمل

تجعلنـا برقيـات ويكيليكـس واثقـين مـن أن السـفارات الأمريكيـة في العـالم، حتـى تلـك التـي ليـس فيهـا محطـة اسـتخبارات، تعمـل عـلى الأرض مـن أجـل جمـع المعلومـات وتحليلهـا. وفي مقابـل طريقـة رصـد أجهـزة المخابـرات الحكوميـة ومتابعتهـا لإحيـاء الشـيعة البحرينيـين ذكـرى عاشـوراء، والتـي لا تهـدف سـوى إلى الرقابـة والمعاقبـة والضبـط، تعمـل السـفارة الأمريكيـة في المنامـة عـلى جمـع المعلومـات عـن عاشـوراء سـنويا للدراسـة والتحليـل مـن أجـل تقديـم صـورة كاملـة لـلإدارة الأمريكيـة، في شـكل تقريـر سري!

لمـاذا تكـون برقيـات السـفارة الأمريكيـة عـن عاشـوراء البحريـن سرّيـة؟ مـا هـو المهـم والخطـير في خطابـات الشـيخ عيـسى قاسـم، أو خطابـات الأسـتاذ حسـن مشـيمع، أو عبـد الهـادي الخواجـة، بالنسـبة للدبلوماسـية الأمريكيـة؟ مـا الـسرّي في مراسـم وطقـوس إحيـاء ذكـرى عاشـوراء اجتماعيـا ودينيـا في البحريـن، وفي الجـدل الطائفـي الـذي تخلّفـه أحيانـا؟ هـل هنـاك ثمـة توجيهـات أو قـرارات أو ردود أفعـال قـد تأخـذ بنـاء عـلى هـذه التقاريـر؟ أو أن هنـاك ربّمـا حاجـة لاسـتخدامها في خطـط وتصـوّرات اسـتراتيجية للأمـن والسياسـة في المنطقـة؟

لـن تصـل هـذه البرقيـات إلى الخارجيـة الأمريكيـة فقـط، بـل سـتكون برسـم القيـادة الأمريكيـة المركزيـة في الخليـج، وسترسـل بالطبـع إلى وكالات الاسـتخبارات، والمحللـين، والباحثـين.

سـتضع السـفارة في برقياتهـا كل تفاصيـل عاشـوراء الدقيقـة، في سـياقها الدينـي والاجتماعـي والسـياسي. طريقـة القـراءة البعيـدة عـن الانفعـال لعاشـوراء البحرين

(حتى لو كان العلم الأمريكي فيها مرسوما على الأرض لتدوس عليه الأقدام)، تجعل من تقارير السفارة الأمريكية وثائق مهمّة للتاريخ.

عاشوراء بالنسبة للسياسة الأمريكية يذكّر بإلهامه العديد من الثورات وحركات المقاومة الشيعية في المنطقة، بدءا من إيران، وليس انتهاء بلبنان. منذ ذلك الوقت، والسياسة الأمريكية تسأل نفسها دائما، إلى أين يمكن أن ينتهي هذا الحماس الشيعي في عاشوراء في البحرين؟

تكشف هذه البرقيات، التي يبدو أنها أخذت تصبح مهمّة سنوية بدءا من 2005، أن الدبلوماسية الأمريكية لا تنظر إلى عاشوراء كمناسبة دينية تشهد احتفالات عابرة مرة كل عام. إنها تثبت أن عاشوراء، ترتبط بأمن الخليج، واستقرار أنظمة الحكم فيه، والأسطول الخامس، والجار الإيراني، والصورة الأمريكية في الذهن الشيعي.

في العام 2008 زار السفير الأمريكي السابق آدم إيرلي بنفسه احتفالات ذكرى عاشوراء في المنامة عام 2008، يصحبه مسئولون في السفارة، ضمن ما قالت برقية إنها كانت «مهمة عمل» الهدف منها تعزيز التواصل مع المجتمع الشيعي في البحرين!

هذا الاطّلاع المكثّف، ليس مزحة. هناك فريق ترسله السفارة سنويا من موظفيها لمراقبة هذه الفعاليات ورصدها بدقة. وفضلا عن ذلك، تجري السفارة اتصالات بمعارفها من الشيعة للوقوف على معلومات أخرى.

على صعيد الداخل البحريني، تنظر السفارة إلى عاشوراء على أنّها فرصة كبيرة لقياس حضور القوى السياسية، وتأثيرها، وتحديد المزاج السياسي العام، واتّجاهاته. تقول البرقيات إن هذه الاحتفالات تزوّدها برؤية وتقدير لقوّة التيارات والجماعات والأفكار.

المستعمر البريطاني أيضا

وإذا كانت برقيات ويكيليكس قد أعطتنا تصوّرا واضحا للمدى الذي تتابع فيه السفارة الأمريكية في المنامة بكل جدّية هذه التظاهرة المهمّة، وإلى أي حد تأتي ضمن نقاشاتها حتى مع المسئولين البحرينيين، فإن وثائق أخرى من الأرشيف البريطاني تثبت أن لندن كانت على ذات الدرجة من الارتياب والترقّب وتقوم هي أيضا بواجب الرصد والمتابعة لاحتفالات عاشوراء.

تقول وثيقة إن المعتمد البريطاني غولت طلب في أغسطس/آب 1955 من الخارجية البريطانية توفير غطاء عسكري في الخليج وسعى لإقناع حاكم البحرين الشيخ سلمان بن حمد بإنزال عدد من القوات من المدمرة «فلامينجو» في قاعدة الجفير، كما طلب من المدمرة «لوخ لومونـد» التوجه من الكويت إلى البحرين لمواجهة ما قد يحدث في ذروة عاشوراء، خوفا من اضطرابات وانفجار شعبي كبير، إثر تهديدات من هيئة الاتحاد الوطني بتنظيم مظاهرات، وإثر شائعات عن تنظيم إضراب، والتخطيط لمواجهات. تقول الوثيقة إن غولت كان يعتبر عاشوراء فترة صعبة تكون فيها المشاعر هائجة.

سنرى أيضا أن الأمريكيين، حتى قبل أن تكون لهم سفارة في البحرين، كانوا يحرصون على متابعة احتفالات عاشوراء، ولو من زاوية ثقافية. وتفتخر السفارة الأمريكية في الاحتفالات التي تقيمها بعرض صور نادرة ربّما تكون الأقدم لمواكب عزاء التقطت قرب دار الإرسالية الأمريكية في العام 1908.

لماذا لم تدرس السعودية عاشوراء؟

يرى جستن غينغلر إن لشخصيات وأحداث هذه الأيّام التاريخية، قدرة على «استحضار ذكريات قوية عن الظّلم السّياسي عند إدخالها في الطّقوس والتّقاليد -حين توضع للاستخدام الجيد من قبل روّاد السّياسية ذوي الذكاء الحاد، الذين يتطلعون لحشد الجموع».

لـدى عاشـوراء قـدرة عـلى الشـحن العاطفـي والسـياسي، وتمتلـئ شـعائرها ومراسـمها بالرمزيـة السياسـية.

في صفحـات طويلـة أفردهـا لمناقشـة توظيـف ذكـرى عاشـوراء سياسـيا في البحرين، يقـول غينغلـر في تحليلـه «قـد تشـكل المبـادئ الدّينيـة أو السّياسـية دوافـع لـدى عـدد مـن المواطنـين بحيـث يرغبـون بالمخاطـرة بحياتهـم وأنفسـهم مـن خـلال الانخـراط في نشـاطات تحديًـا للدّولـة» ويضيـف «القمـع كمفـسّر للسّـلوك السّـياسي، يجـب أن يقـاس في مقابـل قـدرة الخصـم عـلى المعانـاة وحتـى تبنـي التّضحيـة مـن أجـل قضيـة سياسـية».

مـع كل هـذا الزخـم الـذي تأخـذه ذكـرى عاشـوراء، وموسـم الحـزن الشـيعي في شـهري محـرّم وصفـر مـن كل عـام، إلا أنّنـا لم نقـرأ يومـا عـن قـراءة سياسـية غـير منفعلـة لهـذه التظاهـرة وهـذه الشـعائر، مـن قبـل مؤسسـات الحكـم في دول الخليـج، أو المراكـز البحثيـة والأكاديميـة التابعـة لهـا، رغـم أنهـا تدخـل عميقـا في تكويـن المواطـن الشـيعي، ورغـم أنّهـا أثبتـت إمكانيـة الوصـول بتأثيرهـا حتـى عـلى المنتمـين لمذاهـب ومـدارس فكريـة أخـرى.

لمـاذا لم تـدرس الأنظمـة في السـعودية والبحريـن عاشـوراء بعيـدا عـن الـصراع الآيدولوجـي؟ لمـاذا لم تحـاول أن تفهـم مواطنهـا الشـيعي مـن بـاب عاشـوراء؟ لمـاذا لم تفكّـر دول الخليـج في تأثـير عاشـوراء عـلى اسـتمرار نظـام الدولـة الريعيـة، كـما بـيّن جسـتن غينغلـر، وكـما سرد فـؤاد خـوري، ولورنـس لويـر، وغيرهـم؟ لمـاذا لم تحـاول أن تسـتميل المواطـن الشـيعي وتسـتفيد مـن تكوينـه للـم الشـمل بـدلا مـن التفرقـة والتشـكيك في ولائـه؟

ولمـاذا أيضـا لم نـر كتابـا عـن عاشـوراء مـن زاويـة سوسـيولوجية أو إنثروبولجيـة مـن أكاديمـي في الخليـج؟ لمـاذا يتعـالى المثقـف الخليجـي عـلى ظاهـرة لا يفوّتهـا صنّـاع السياسـة الأمريكيـة؟

عاشـوراء في الخليـج والبحريـن، وطبقـا لبرقيـات السـفارة الأمريكيـة، هـي أضخـم تجمـع بـشري، وهـي أفضـل مقيـاس لمحـددات السـلوك السـياسي للمواطـن الشـيعي، وقـد أثبتـت عاشـوراء أيضـا أنهـا ببعدهـا الثقـافي والتاريخـي يمكـن أن تتحـوّل مـن بـاب لإثـارة التصـادم والـصراع الطائفـي والآيدولوجـي، إلى بـاب للتنظيـم السـياسي المبنـي عـلى قيـم ومصالـح مشـتركة، حتـى لـو كانـت أداتهـا التضحيـة، كـما رأينـا في تأسـيس هيئـة الاتحـاد الوطنـي.

مـع أن السـفارة الأمريكيـة شـبّهت عاشـوراء في مقاربـة تصويريـة باحتفـالات الكريسـمس، إلا أنـه لا يوجـد أي احتفـال دينـي ينافـس عاشـوراء في مدّهـا وتأثيرهـا واسـتقطابها السـياسي. عاشـوراء البحريـن تظـل تهـز الخليـج حتـى بعـد 2011، وإذا كان حبـل البرقيـات التـي سرّبتهـا ويكيلكيـس عـن السـفارة الأمريكيـة انقطـع مـع نهايـة العـام 2009، فـلا يوجـد أدنى شـك مـن أن هـذه المهمّـة السـنوية مسـتمرّة.

مرآة البحرين
Bahrain Mirror